ضمانات القرآن الذاتية لعالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

د. راجح عبدالحميد سعيد «كردي بني فضل»(*)

(*) أستاذ مشارك بقسم أصول الدين - كلية الشريعة - الجامعة الأردنية - عمان - المملكة الأردنية الهاشمية.

ملخص البحث:

عالج البحث قضية مفادها: أن القرآن في ذاته يشكل ضمانة العالمية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عالج البحث هذه الفرضية بإثبات أن القرآن الكريم بما له من خصائصه الذاتية – من: ربانيته، وخاتميته للكتب الإلهية، وتواؤمه مع الفطرة الإنسانية، ووحدة خطابه، وصلاحية مبادئه، ونزعته الإنسانية – ما يجعله ضامناً عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وخلودها، بحيث تشمل الناس كافة إلى قيام الساعة.

كما ناقش البحث ضمانة ذاتية أخرى للقرآن الكريم بمقاصده الكبرى التي تكفل هذه العالمية في كونه حقاً في ذاته، وحقاً يُحمَل في مواجهة الباطل في سنة التدافع، وحقاً بما فيه من هداية وعبادة ورحمة. كما أظهر البحث أهم ذاتيات القرآن من حيث موضوعاته الكبرى التي تحمل عالمية الرسالة وتضمنها؛ من مثل الإيمان بالله وتوحيده وتنزيهه، وعقيدة الجزاء، والعمل الصالح، وثبات منظومة القيم والأخلاق، بكل ما تتميز به في إطارها الإنساني الواسع، مع إطارها الإيماني الدقيق.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن على خاتم أنبيائه ورسله، وجعله مصدقاً لكتبه ومهيمناً عليها، واختصه بما لم يختص به غيره من كتبه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، المرسل برسالة ربنا العالمية إلى الناس كافة، والخالدة إلى يوم الدين، ثم أما بعد؛

فلمّا كان القرآن كتاب رب العالمين وخاتم الكتب على خاتم الرسل، أنزله الله وحياً، وخصّه بما لم يختص به كتاباً من كتبه؛ ليجعله وحيه المحفوظ إلى قيام الساعة، وللناس في الأرض كلها، فقد جعل الله له من الخصوصيات الذاتية في جوهره، ومن المقاصد والموضوعات في غاياته: ما يضمن هذه العالمية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم. وقد وجدت الحاجة إلى تأصيل هذا المعنى لأمة لا بد أن تعرف أن قدْرها العالمي هو بقْدر هذا القرآن، وأن أصالتها بأصالته، وأن خصوصيتها بخصوصيته، لأجمع فيه بين التأصيل للدراسات القرآنية، والتأصيل للدراسات العقدية في موضوع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم. ولمعالجة هذه الفرضية فقد نظمت البحث بمقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة.

تمهيد: مصطلحات الدراسة.

المبحث الأول: خصوصيات القرآن في ذاته وجوهره وضمانة العالمية وفيه مطالب::

المطلب الأول: خصوصية ربانية القرآن.

المطلب الثاني: خصوصية موقعه من الكتب الإلهية.

المطلب الثالث: خصوصية علاقته بالفطرة الإنسانية.

المطلب الرابع: خصوصية صلاحية مبادئه وأصوله التشريعية.

المطلب الخامس: خصوصية نزعته الإنسانية.

المطلب السادس: خصوصية وحدة خطابه وتجرده.

المبحث الثاني: مقاصد القرآن وموضوعاته.

المطلب الأول: مقاصد القرآن وضمانة العالمية.

المقصد الأول: القرآن هو الكتاب الحق للناس.

المقصد الثاني: القرآن كتاب الهداية الشاملة الدائمة للناس وكتاب الفصل والبيان.

المقصد الثالث: القرآن كتاب العبادة.

المقصد الرابع: القرآن كتاب الشفاء والرحمة والبشرى.

المقصد الخامس: القرآن كتاب العلم والتزكية والحكمة.

المقصد السادس: القرآن كتاب الذكرى والتذكير والعبرة والعظة.

المقص السابع: القرآن يقصد إحقاق الحق وإبطال الباطل في سنة التدافع.

المطلب الثاني: موضوعات القرآن وضمانة العالمية:

الموضع الأول: الإيمان بتوحيد الله وتنزيهه.

الموضوع الثاني: البعث والجزاء.

الموضوع الثالث: العمل الصالح.

الموضوع الرابع: القيم والأخلاق.

الخاتمة:

وفيها أهم نتائج الدراسة وتوصياتها.

تمهيد:

مصطلحات الدراسة

تقوم فرضية البحث على أن القرآن الكريم – بصفته كتاب الله النازل وحياً كلامياً على محمد صلى الله عليه وسلم –يحمل في ذاته وجوهره – بهذا الاعتبار – ضمانة العالمية لرسالة الإسلام، رسالة محمد صلى الله عليه وسلم. ويظهر من هذه الفرضية **أربعة مصطلحات** تحتاج إلى تحديد وبيان:

أولها – القرآن الكريم:

فهو وإن كان لا يحتاج إلى تعريف وبيان، لأن المعنى الشائع والمتبادر إلى ذهن السامع مسلماً وغير مسلم، أنه كتاب رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن التعريف العلمي أو المصطلحي له أنه: كلام الله تعالى القديم، لأنه صفة من صفات المعاني القديمة القائمة به تعالى كما يعرف باختصار، أو"اللفظ المنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس"(١) فهو كلام الله تعالى حقيقة غير مخلوق، المنزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه، وبهذا نخرج من قول المعتزلة بأنه مخلوق، ونخرج من قول الأشاعرة بأن القرآن هو عبارة عن كلام الله النفسي وليس كلام الله حقيقة، إذ يقولون:"وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرأه فهو مخلوق"(٢). والمقصود من هذا التعريف – إذن – أن هذا القرآن بما هو كتاب الله وحياً متميزاً عن السنة؛ لأنها وحي أيضاً، بأنه بألفاظه ومعانيه من الله تعالى. وهو – بما يحمل بألفاظه من معانٍ ومقاصد ومحتويات – يمثل منهج رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الخاتمة للناس كافة.

والذي يعنينا في هذه الدراسة: أن نثبت أن القرآن الكريم هو وحي الله

---

(١) الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (د.ط)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (د.ت)، ١/١٣.

(٢) اللقاني، عبد السلام، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، ص٥٨

وكلامه وهو كتاب الرسالة الخاتمة يحمل في ذاته وجوهره ضمانة العالمية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

وثانيها:

مفهوم مصطلح الضمانة: هي مأخوذة لغةً من الضمان، ومأخوذة من الفعل ضمن، يقول ابن فارس: "الضاد والميم والنون أصل صحيح، وهو جَعْلُ الشيء في شيء يحويه. من ذلك قولهم: ضمنت الشيء إذا جعلته في وعائه. والكفالة تسمى ضماناً من هذا؛ لأنه إذا ضمنه فقد استوعب ذمّته"(٣). وبنفس هذا المعنى ذكر صاحب القاموس المحيط فقال: "ضمن الشيء وبه كفله...وما جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه"(٤).

وقال ابن منظور: "الضمين: الكفيل؛ ضمن الشيء وبه ضمناً، وضماناً: كفل به، ضامن وضمين، كافل وكفيل. ويقال: ضمنت الشيء، أضمنه ضماناً فأنا ضامن وهو مضمون. ويقال شرابك مُضمّن إذا كان في كوز أو إناء"(٥). **وقصدنا – هنا – من مصطلح الضمانة:** هو الكفالة، وهي الحفظ والرعاية، أي ما يحفظ عالمية الرسالة ويكفل بقاءها وخلودها.

ثالثها – الذاتية:

وقصدنا من الذاتية:

أي من نفس القرآن، أي من كونه كتاباً وهو كلام الله، أي ما يعود لذات

---

(٣) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة،** (ط٢)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٠=١٩٧٠م، ٣/٣٧٢ باب الضاد والميم.

(٤) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم الشيرازي، (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط،** (ط٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، ٤/٢٣٩، باب النون فصل الضاد.

(٥) ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب،** (ط٣)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م، ١٣/٢٥٧، حرف النون فصل الضاد.

القرآن وجوهره، لا لشيء خارج عنه، لأن ثمة ضمانات أخرى خارج الكتاب، تقوم كفالات وضمانات لعالمية الرسالة. وثمة ضمانات ذاتية أخرى من اعتبار آخر، وهو كونه معجزة الرسالة التي تكفّل الله تعالى بحفظها وبطبيعتها وبإعجازها.

رابعها – العالمية:

والعالمية: لغةً من العَلَم – بفتح العين واللام – وهو المنار والسِّمة والفصل بين الأرضين، والأثر يُستدل به. والعالَم هو الخَلْق كله. والعالَمية مصدر صناعي بزيادة ياء مشددة وتاء تأنيث(٦). ويبدو أن المقصود من هذه الزيادة هو شمول ما يوصف بالعالمية؛ فإذا قلنا: عالمية الإسلام قصدنا بها ما يميز الإسلام ديناً عن الأديان الأخرى بأنه رسالة شاملة للناس كافة، بحيث يغطي في بعده **الأفقي** الأرض؛ كلها ليصل إلى كل إنسان فيها، في كل مكان يوجد فيه هذا الإنسان، ويمتد في بعده الرأسي أو الزمني إلى كل إنسان يخلقه الله تعالى منذ مبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة، فيتجاوز جيل الرسالة وإنسانها إلى كل الأجيال القادمة إلى قيام الساعة. وهذه العالمية لرسالة الإسلام قُوامها عموم الرسالة لجميع البشر كما قلنا، وخاتميتها بحيث أكملت النبوات والرسالات السابقة؛ فلا مزيد عليها ولا نبوة بعدها، ولا رسالة تعقبها، وتعني بالتالي خلودها زمناً إلى قيام الساعة. وهي شاملة بالتالي لكل ما يحتاجه الإنسان لسعادة الدارين، فهي بعالميتها رسالة طولها يستغرق الأزمان، ويساير الخلود، ويتجدد على الأعصار، وعرضها يستوعب الأجناس كلها، وعمقها يشتمل الحقائق التي يفتقر لها العالم في شؤون حياتهم جميعها.(٧)

---

(٦) انظر ابن منظور، **لسان العرب**، ١٢/ ٤١٩-٤٢٠، الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، دار الكتاب العربي، بيروت١٩٦٧م، (ط١)ص٤٥١-٤٥٢، الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت.ط)، ٨/ ٤٠٧.

(٧) انظر هذه المعاني في: السيد نوفل، ابو المجد، **الدعوة إلى الله**، مطبعة الحضارة العربية، القاهرة، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م، (ط١)ص٣٧، حسين، محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، (ط١)، ص١٨٥.

المبحث الأول
خصوصيات(٨) القرآن في ذاته وجوهره وضمانة العالمية

المطلب الأول
خصوصية ربانية القرآن

ويقصد بها – هنا – أن هذا القرآن هو من الله؛ فهو كلام الله تعالى ووحيه الكامل، لأنه **صفة من صفاته** "كامل كمال تلك الصفات، جليل جلالها، عظيم عظمتها، دائم ديمومتها"(٩)، أنزله كلاماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصفات الله تعالى قديمة أزلية وأبدية، فالقرآن بما هو من صفات الله إذن دالٌّ على عظمته، فهو بربانيته يحمل ضمانة ذاتية لعالمية رسالته. وبما أن الله تعالى هو رب العالمين، وأن المخاطبين بهذا القرآن هم من خلق الله، فلا يصلح لخطابهم عالمياً إلا كتاب

---

(٨) خصوصية في اللغة – بفتح الخاء – كما عند ابن فارس، وبفتحها وضمها وبالفتح أفصح، كما عند الرازي – مشتقة من خصّ، وهو أصل مطرد قياسي يدل على الفرجة والثلمة بين الشيئين، ومن هذا الباب: خصصت فلاناً بشيء واختصصته خصوصية وخصوصاً؛ لأنك إذا أفردته فقد أوقعت فرجة بينه وبين غيره، والخصيصى الخصوصية(انظر، ابن فارس، أبو **معجم مقاييس اللغة**، ٢/١٥٢-١٥٣. الرازي، **مختار الصحاح**، ص١٧٧. وقال الراغب: "التخصيص والاختصاص والخصوصية والتخصص: تفرد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة"(الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت) ص١٤٩ ومن الاختصاص: قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (آل عمران٧٤)، ولم أجد الجمع لها على خصائص كما هو دارج على ألسنة المؤلفين (جرياً على من استعملها اسماً لكتابه من الأقدمين وهو: ابن جني في كتابه **الخصائص** انظر ابن جني أبو الفتح عثمان، (ت٣٩٢هـ) تحقيق محمد علي النجار، ثلاثة مجلدات (ط٢) دار الهدى بيروت، (د.ت)، لأن خصائص جمع خاصية، وخصوصية لا تجمع على هذا قياساً، بل جمعها خصوصيات. ولهذا فقد استعملت المصدر، وإن كثيراً مما يقع تحته ما اختص الله به القرآن الكريم في موضوعنا من خصوصيات تجعله في ذاته ضماناً لعالمية الرسالة.

(٩) السيد، عبد الستار، **بحث إعجاز القرآن**، أحد بحوث المؤتمر السابع لعلماء المسلمين المنعقد في ٩سبتمبر ١٩٧٢، نشر مجمع البحوث الإسلامية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (د.ط) القاهرة، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م، ص٨٤.

الله الصحيح، كيف لا وهو الكتاب الخاتم، النازل على النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا هو المؤهل الأول للقرآن في ذاته ومصدره ما يجعله ضمانة لعالمية رسالته الخاتمة على محمد صلى الله عليه وسلم.

ولو كان القرآن من غير مصدره الإلهي لتفرقت البشرية، ولاختلطت أمورها باختلاط مصادر التوجيه فيها؛ لأن الإنسان لا يصلح أن يكون مصدر التوجيه؛ لأنه عاجز، محدود، مغيرٌ آراءه، والإنسان المحدود العاجز، المغيّر لآرائه والمبدّل لمواقفه، أسير لتنوع تفكيره ومصادر معرفته، واختلاف أهوائه وشهواته وبيئاته، فما يوجد في فكره من الاختلاف والتناقض يجعله غير صالح للعالمية، ولا لتوحيد هديها ومواقفها.

ولا يصلح للإنسانية الواحدة المخلوقة لرب واحد سبحانه، والمنتهية في مصيرها لتقف بين يدي رب واحد سبحانه إلا القرآن؛ لأنه مبرأ من كل نقص، فهو من الله الواحد العزيز الحكيم، قال تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤٢)، وكما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)؛ ولهذا كان **لربانية القرآن** في مصدره ما يعزز عالميته، كما وصفه ربنا سبحانه بقوله: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ (إبراهيم: ١-٣)، وهذا ما يستدعي بقاءه على ربانيته بأن يُحفظ كما هو دون تغيير ولا تبديل ولا تحريف ولا زيادة ولا نقصان، ولا تكون أية علاقة بشرية به سوى أن تتناقله وتحفظه كما نزل؛ إبقاءً له على **ربانيته، وتحقيقاً لضمان عالميته.**

ومن هنا نجد أن الله سبحانه يتبع الآيات بعد ذكره للقرآن ووصْفِه له بأنه مبين، بما يؤكد ربانيته، وبقاءها على ذلك؛ ضماناً لحفظه له، يقول تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الحجر: ١)، ثم يقول بعد ذلك في ذات السورة:

﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ٨ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٦-٩)؛ ولذلك لما طلب الكفار من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بقرآن غير هذا القرآن، أو يبدله أكد الله لهم ليجيبهم نبيه تأكيداً على ربانية مصدره، وأن محمداً بشخصه لا يمكن أن يكون مصدر هذا القرآن، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ (يونس: ١٥).

ويتأكد من هذه الحقيقة من "تدّبر القرآن، وقرأ آياته؛ ليجد أن محمداً صلى الله عليه وسلم لو اجتهد وكان اجتهاده خلاف الأولى لصوّبه الله نحو الأصح والأفضل، ولعاتبه على فعله كما في قصة ابن أم مكتوم، وأسرى بدر، والمنافقين المتخلفين في غزوة تبوك، وقصة زواجه من زينب بنت جحش"(١٠).

والرسول صلى الله عليه وسلم مهمته أن يبلغ الوحي الذي أوحاه الله إليه، لا أنه ينشئه ويؤلفه قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة: ٦٧)، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ (النجم: ٣-٥).

هذه الربانية- مصدر للقرآن - تكسبه كل الخصائص الأخرى التي هي آثار لها بما يضمن عالمية رسالته من صحة، ويقينية، وثبات، وشمول، وواقعية، وتوازن وغير ذلك مما لا نحب التطويل فيه(١١)؛ لكثرة تكرار المؤلفين له، فلا نزيد عليهم فيه.

(١٠) القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام،** (ط٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ-=١٩٨٣م، ص٣٧.

(١١) انظر التفاصيل في القرضاوي، المرجع السابق، قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته،** (د.ط)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، (د.ت).

المطلب الثاني
خصوصية موقعه من الكتب الإلهية

١ - القرآن والكتاب في آيات القرآن:

لقد وردت كلمتا **الكتاب، وكتاب الله** في آيات القرآن الكريم دالتين على الكتب الإلهية عموماً، أو كتب بعينها، مثل: التوراة، والإنجيل، والكتب الالهية فيما قبل القرآن الكريم بما يقارب مائة وتسعة عشر موضعاً(١٢)، دالتين على القرآن الكريم بعينه فيما يقارب تسعة وسبعين موضعاً(١٣)، في حين ذُكر لفظ القرآن- مُعرفاً- دالاً على الكتاب الإلهي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم في ثمانية وخمسين موضعاً(١٤)، بينما ذكر لفظ (قرآناً) - نكرة - في عشرة مواضع(١٥).

وذكر السيوطي أن أسماء القرآن الكريم بلغت خمسة وخمسين اسماً، وبلغت عند الزركشي نيفاً وتسعين، وعدّدها، وعلل لكل تسمية(١٦).

وبالاستقراء لهذه الأسماء التي ذكرها السيوطي وبتفحصها يرى الباحث: أن كثيراً منها جاءت صفات للأسماء الرئيسة وهي؛ **القرآن والكتاب والذكر والفرقان**، وإن عدّها العلماء أسماء، فالأدق أنها أوصاف للقرآن، وهي كما وردت نصياً في القرآن على النحو الآتي:

---

(١٢) انظر عبد الباقي، محمد فؤاد - **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** (جمع وترتيب)، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د. ط. ت)، ص٥٩٢-٥٩٥، المرجع السابق.

(١٣) انظر المرجع السابق.

(١٤) انظر المرجع السابق ص٥٣٩-٥٤٠.

(١٥) انظر المرجع السابق ص٥٤٠.

(١٦) انظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. ت) الهيئة المصرية العالمية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م، ١/١٧٨-١٨٤.وانظر الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢)، دار المعرفة، بيروت١٣٩١هـ=١٩٧٢م، ١/ ٢٧٤-٢٨٢.

- **الوحي:** قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: ٤).
- **المبين:** قال تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ (يوسف: ١).
- **بيان:** قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨).
- **كريم:** قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ (الواقعة: ٧٧).
- **نور:** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ (النساء: ١٧٤).
- **هدى وموعظة:** قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨).
- **شفاء ورحمة:** قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢).
- **مباركا:** قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (الأنعام: ٩٢).
- **حكيما:** قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (آل عمران: ٥٨).
- **مصدقاً:** قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ (الأحقاف: ١٢).
- **مهيمناً:** قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا﴾ (المائدة: ٤٨).
- **صراط ومستقيما:** قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الانعام: ١٢٦).
- **قولاً:** قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل: ٥).
- **مفصلاً:** قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ

ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ (الأنعام: ١١٤).

- **نبأ عظيم:** قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ (ص: ٦٧).
- **أحسن القصص:** قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (يوسف: ٣).
- **متشابهاً ومثاني وتنزيل:** قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ (الزمر: ٢٣).
- **روحاً:** قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ (الشورى: ٥٢).
- **عربياً :** قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢).
- **بصائر:** قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية: ٢٠).
- **العلم:** قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (الرعد: ٣٧).
- **عجباً:** قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ (الجن: ١).
- **تذكرة:** قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (الحاقة: ٤٨).
- **صدقاً وعدلاً:** قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنعام: ١١٥).
- **أمراً:** قال تعالى: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (الدخان: ٥).
- **منادياً:** قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ﴾ (آل عمران: ١٩٣).

- **بشرى:** قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٧).
- **مجيد:** قال تعالى: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ (ق: ١).
- **بشيراً ونذيراً:** قال تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (فصلت: ٤).
- **عزيز :** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ (فصلت: ٤١).
- **بلاغ:** قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ (إبراهيم: ٥٢).
- **القصص الحق:** قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ﴾ (آل عمران: ٦٢).
- **أحسن القصص:** قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ (يوسف: ٣).
- **مرفوعة مطهرة:** قال تعالى: ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ (عبس: ١٤).

ويرى أبو شهبة(١٧) أن **الكتاب والفرقان والتنزيل والذكر** هي"أشهر الأسماء بعد لفظ القرآن،وقد صارت أعلاماً بالغلبة على لسان أهل الشرع(١٨)".

٢- علاقة القرآن بالكتب السماوية السابقة:

نزل القرآن الكريم كتاباً خاتماً للكتب الإلهية السابقة النازلة على الأنبياء والرسل قبل محمد صلى الله عليه وسلم، وهو يحمل الدين الإلهي - الإسلام - التام المتمِّم والكامل المكمّل، المرضيّ عنه إلى قيام الساعة طبقاً لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ

---

(١٧) أحد علماء الأزهر الشريف، مصري، عاش في النصف الثاني من القرن العشرين رحمه الله وله مؤلفات في السنة النبوية.

(١٨) أبو شهبة، محمد بن محمد، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، الطبعة الجديدة ص٢٣.

دِينًاۚ﴾ (المائدة: ٣)، بعد أن اختلف أهل الكتب السابقة، فبدّلوا كتبهم وغيروها وحرفوها، فجاء الدين الخاتم بالكتاب الخاتم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ (آل عمران: ١٩). قال ابن كثير في تفسير الآية: "إخبار من الله تعالى بأنه لا دين يقبل عنده من أحدٍ سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله في كل حين حتى خُتموا بمحمد صلى الله عليه وسلم"(١٩). ويشير القرآن الكريم الى موقع هذا القرآن خاتماً؛ ضماناً لرعاية الله لخلقه، وهدايته لهم، وحاجاتهم إليه إلى قيام الساعة، كتاباً نازلاً على محمد النبي الخاتم برسالته العالمية بقوله سبحانه: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (الأنعام: ٩٢)، وعاب على أهل الكتاب إنكارهم إنزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم، المبشر به نبياً خاتماً عندهم في كتبهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٨٩)، وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ﴾ (البقرة: ٩١)، وقال سبحانه: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَۗ﴾ (آل عمران: ٣-٤).

وهذا **الموقع** للقرآن الكريم بصفته **خاتماً** للكتب الإلهية السابقة، **ومصدقاً** لها **ومهيمناً** عليها يعد ضمانة تكفل عالمية الرسالة، إذ لولاه لبقي الاختلاف بين البشر على أديانهم وعقائدهم وأنبيائهم، ولبقيت البشرية مشتتة متفرقة،

---

(١٩) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت.ط)، ١/ ٢٥٤.

متشرذمة، فجعل الله هذا القرآن بموقعه كتاباً مصدقاً للكتب السابقة ومهيمناً عليها، يخاطب العالم كله خطاباً عالمياً، وجعل فيه التمام والكمال منهجاً ومحتوى، إيماناً، وشريعة، ونظاماً، وخلقاً، وما فرط فيه من شيء، ما يخرج البشر من حالة القومية والشعوبية، والدينية الطائفية المتفرقة إلى توجه عالمي إنساني ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (إبراهيم: ١)، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧). فهو إذن:

خاتم مصدق لما في الكتب السابقة من أصول الإيمان والعبادة والفضائل وأصول الشرائع، وإن اختلفت شريعته التفصيلية عما سبق تشريعه في الكتب السابقة؛ لضرورة خصوصية تلك الشرائع لشعوب تلك الكتب، وأقوامها وظروفها، بينما جاءت شريعته للناس كافة بما يضمن عالميتها من حيث قدرتها على حل مشاكل البشرية في كل زمان ومكان، وبما يحقق خلودها وديمومتها، وبما يقتضيه خلودها بسبب خاتميتها، إذ لا شريعة بعدها قال تعالى: ﴿بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ (الصافات: ٣٧). **هذا من ناحية.**

ومن ناحية أخرى: فهو **المهيمن** على الكتب السابقة في أصل ما جاءت عليه قبل تحريفها لأنه خاتمها. والمطلوب من البشر جميعاً بعد نزوله الإيمانُ به، واتباعه وتحكيمه؛ لأنه قد **حرس** ما فيها من أصول الخير بعد أن صدّق ما فيها أصلاً، وبما أبقى من أصولها وهيمن عليها. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

يعلق دراز[٢٠] على الآية بقوله: "أي حارساً أميناً عليها. ومن تلك الحراسة الأمينة على تلك الكتب: ألّا يكتفي الحارس بتأييد ما خلّده التاريخ فيها من حق وخير، بل عليه فوق ذلك: أن يحميها من الدخيل الذي عساه أن يضاف إليها بغير حق، وأن يبرز ما تمس إليه الحاجة من الحقائق التي عساها أن تكون قد أخفيت منها"[٢١].

ويعلق سيد قطب[٢٢] على الآية ذاتها بقوله: "والأمر موجه ابتداء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما كان فيه من أمر أهل الكتاب الذي يجيئون إليه متحاكمين، ولكنه ليس خاصاً بهذا السبب، بل هو عام والى آخر الزمان، طالما أنه ليس هناك رسول جديد، ولا رسالة جديدة، لتعديل شيء ما في هذا المرجع الأخير"[٢٣].

٣ - قرابة القرآن من الكتب السابقة:

إن العلاقة القوية للقرآن الكريم بالكتب الإلهية السابقة ناشئة من كون تلك الكتب كلها في أصلها من الله وحده، والقرآن من الله وحده، وما أصاب تلك الكتب السابقة من خلل أو تحريف أخرجها عن ربانية مصدرها، مما يؤكد ضرورة دعوة القرآن لأهل تلك الكتب إلى قبوله والإيمان به؛ لأنه الكتاب الوحيد من الله وحده الذي لا تمتد اليه يد التحريف أو التغيير او الزيادة أو النقصان، والذي تكفل الله تعالى بحفظه كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). وقال: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (يونس: ٣٧).

---

(٢٠) عالم مصري أزهري، توفي في الثلث الثاني من القرن العشرين، درس في فرنسا وله عدة مؤلفات في خدمة القرآن وكان لرسالته في الدكتوراه بعنوان دستور الأخلاق في القرآن الكريم شهرة كبيرة لدى علماء الأخلاق.

(٢١) دراز، محمد عبد الله، **الدين**، دار القلم، الكويت، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م، (ط٢)، ص١٨١.

(٢٢) (١٩٧١-١٩٦٦م) أديب مصري، ومفكر اسلامي، وداعية عرف بثباته على الحق له مؤلفات كثيرة

(٢٣) قطب، سيد، **في ظلال القرآن**/دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ=١٩٧١م، (ط٧)٦/٧٤٧-٧٤٨.

وقوة هذه العلاقة للقرآن بالكتب السابقة واضحة - إذن - في أنها هي والقرآن من مصدر واحد، وهو الله عز وجل. وهذا لون واحد من ألوان **القرابة** بين القرآن الكريم والكتب إلهية السابقة.

أما **القرابة الأخرى:** فهي قرابة التصديق لما كان فيها من الحقائق والهيمنة عليها كما ذكرنا قبل قليل.

وأما **القرابة الثالثة:** فهي التصحيح المعبر عنه بالتفصيل، وهو البيان للحق بعدما غُير وبُدّل أو كلما احتاجت إليه البشرية من ثبات في الرسالة العالمية، وقد كان مقبولاً في الرسالات الخاصة.

كل ذلك مع التركيز على ضرورة **وحدانية** هذا الكتاب **وانفراده** كتاباً **خاتماً ومصدقاً ومهيمناً**، ومنهجاً للإسلام المقبول والمرضي عنه عند الله تعالى، وضرورة انفراده وحده إلى قيام الساعة، أما تلك الكتب السابقة فقد انتهى العمل بها بعد نزوله، وما عاد يعترف بها للإعمال، وإن كان يؤمن بها إيماناً مجملاً - كمبدأ - كتباً إلهية، يكفر منكر أصل نزولها من الله، ويكفر في الوقت نفسه من زعم مشاركتها للقرآن في الإعمال، أو القبول بما يعرف بتعايش الديانات، إذ لا اعتبار لمفهوم تعدد الأديان بعد الإسلام: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩). وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٩).

٤ - أمثلة على العلاقة:

ويمكن إجمال الأمثلة على العلاقة في المضمون بين القرآن والكتب السابقة وكيفية تصحيحها أو تفصيلها أو إخراجها من خصوصية الرسالات السابقة إلى عالمية رسالة القرآن، فيما يأتي[٢٤]:

(٢٤) انظر لمزيد من التفاصيل: بن نبي، مالك، **الظاهرة القرآنية**، ترجمة عبد الصبور شاهين، (د.ط)، دار الفكر، بيروت(د.ت)، ص٢٤٠ فما بعدها.وانظر بوكاي، موريس، **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

أ – فيما يتعلق بتنزيه الله ومعرفته:

الأساس في الكتب السماوية – ومنها التوراة والانجيل – الإيمان بالله الواحد بأسمائه وصفاته، لكن غلب التشبيه والتجسيم في وصف الرب في التوراة– بفعل البشر–؛ فمثلاً نجد في سفر التكوين في رؤيا يعقوب: "ورأى حلماً، وإذا سلَّم منصوبة على الأرض، ورأسها يمس السماء، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها، وهو ذا الرب واقف عليها فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك واله اسحق"(٢٥). وعدّ اليهود ربهم قومياً، وزعموا أنهم شعب الله المختار، فطعنوا في تنزيه الرب، واحتكروه لهم.

وقد اخترعت الأناجيل المدعاة صورة مجسدة للرب في ثالوث الآب والابن والروح القدس. فجاء القرآن الكريم ليعطي مفهوماً صحيحاً لمعرفة الله بأسمائه وصفاته يقول فيها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فكانت عقيدته واضحة في تنزيه الله بعيداً عن التجريد الفلسفي وعن التجسيد المادي، كما عبر عنه الله بأنه رب العالمين، وليس إلهاً قومياً، ولا إلهاً حالاً في إنسان، كما أنه رب واحد قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (الاخلاص: ١–٤).

ب – فيما يتعلق بالآخرة:

فإن خلود الروح، ونهاية العالم، ويوم القيامة، والحساب، والجنة والنار عقيدة مشتركة بين الأديان الإلهية جميعها. ولكننا إذ نظرنا في كتاب التوراة لا نجد لها إلا شعاعاً خافتاً، ويعلل لذلك مالك بن نبي فيقول: "لأنها كانت مهتمةً بالتنظيم الاجتماعي لأول مرة"(٢٦)، ولا أشاركه الرأي في هذا التعليل؛ إذ لا يصح لدين الهي، ولا لكتاب من عند الله أن يخلو من هذه العقيدة، فهي من

---

(٢٥) **سفر التكوين**، الفصل الثامن والعشرون، فقرة ١٢، ١٣.

(٢٦) بن نبي، **الظاهرة القرآنية ص٢٤٤**.

أركان الإيمان التي تقوم على الإيمان بها مع الإيمان بالله حياة الإنسان من أجل الفوز في الآخرة بالجنة والنجاة من النار. ولكن السبب هو **نفسية اليهود في حب السيطرة والعدوان** على غيرهم؛ فقد أفقدوا توراتهم الإيمان بالآخرة، بل إن التوراة كما هي وبتجربتهم لا تعترف بالآخرة ولا تذكر أمرها، إذ "ترى الديانة اليهودية أن الإنسان يثاب أو يعاقب على أعماله في الحياة الدنيا"[٢٧]؛ فالجنة عندهم أطماع دنيوية، هي أرض الميعاد، فلسطين، بطرد أهلها منها وقتلهم وتشريدهم، وإقامة دولتهم عليها، ونهب أرضها وخيراتها. كل ذلك حتى لا ترق قلوبهم، وتطاوع قسوتها في معاملة الغير أو الجوييم[٢٨] أو الأمميين بالتعبير القرآني، كما قرر القرآن عقيدتهم في ذلك بقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ﴾ (آل عمران: ٧٥).

أما الأناجيل فتتحدث عن عقيدة قيامة المسيح، وهي عقيدة منسوجة من حول شخصية المسيح، ومتأثرة بالديانات الوثنية والشعبية، والأساطير التي تجعل الآخرة شيئاً معنوياً، وليس حقيقة شاهدة؛ ولذلك قالوا بفكرة الإسقاط والرهبنة، **فافقِد المِلك حتى يوهب لك المَلَكوت**. ولا وضوح لحقيقة الآخرة في أناجيلهم.

بينما **يُجلّي القرآن الآخرة** تجلية تكاد تراها وتعيشها في دنياك في كل شيء، مع فارق أن هذه حياة دنيا زائلة، وتلك حياة حقيقية دائمة وخالدة. ولشدة وضوح صورتها وأهميتها في الإيمان لدى الرسالة العالمية يكاد يختصر السياق القرآني أركان الإيمان كلها في بعض آياته **ليجعلها إيماناً بالله واليوم الآخر**، قال تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ (آل عمران: ١١٤).

---

(٢٧) الخولي، محمد علي، **التحريف في التوراة**، (ط١)نشر المؤلف، عمان، ١٤١٠هـ=١٩٩٠م ص٢٨.

(٢٨) مصطلح يهودي يطلقه اليهود على غيرهم من الشعوب والأمم الأخرى، ولهم أحكام في دينهم، تستباح فيه دماؤهم وأموالهم، وأنهم حيوانات لخدمة شعب اسرائيل، وما خلقهم الله على هيئة أناس إلا ليؤنسوا شعب بني إسرائيل المختار في الخدمة.

ت – وفي مجال الأخلاق:

نجد القرآن"يقدم لنا الواجبات الأساسية وعلم الحقيقة على أنها دعوة السابقين وسبيلهم المقيم، فلقد حمل جميع الرسل ميزان العدل والقسط، وأمروا بان يكسبوا رزقهم بالحلال، وأن يعبدوا الله، ويفعلوا الخير"(٢٩). ويعقد دراز(٣٠) مقارنة بين نصوص من التوراة من سفر الخروج عن الوصايا العشر القائمة على؛ عدم الشرك بالله، وإكرام الوالدين، وعدم القتل، وتحريم الزنا والسرقة وشهادة الزور، وتحريم الكذب، وتحريم الظلم وأكل الحرام في الوزن والكيل والحقد، وغيرها في نصوص من سفر الخروج في الفصل العشرين منه(٣١)، وبين ما يقابلها من آيات القرآن الكريم من الآيات المؤكدة على هذه الوصايا وما يكملها(٣٢)، وما يجعلها أخلاقاً عالميةً؛ عالمية رسالة الإسلام(٣٣). ويعرض كذلك هذه الوصايا من الإنجيل(٣٤)، ويعرض ما يقابلها في القرآن الكريم(٣٥). ويبين من دراسته لهذه الوصايا الأخلاقية في التوراة والإنجيل أن القرآن قد أكمل التراث الأخلاقي للأديان السابقة، تبعاً للرسالة العالمية التي تتجاوز فيها الأخلاق شعباً أو أتباع دين معين، لتصبح منظومة إنسانية عالمية تستقر في شعاب الحياة جميعها ولدى جميع شعوب البشر.

---

(٢٩) دراز، محمد عبد الله، **مدخل إلى القرآن الكريم،** (ط٢)، دار القلم، الكويت، ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م، ص٩٢.

(٣٠) المرجع السابق، ص٩٣–١١٣

(٣١) سفر **الخروج** من ٢٢–٢٣، وسفر اللاديين١٩–٢٥ وسفرالتثنية٦

(٣٢) سفر **الخروج** من ٢٢–٢٣ وسفر اللاديين ١٩–٢٥ وسفر التثنية ٦

(٣٣) انظر الآيات **النساء ٣٦**، ٥٨، ١٢٧، ٧، ،١٠٨، **المعارج ٧، الضحى ٩، آل عمران ٧٩، ١٣٤ ، الحشر ٩–١٠ التوبة ١٠٨، البقرة ١٦٥.**

(٣٤) **انجيل متى** ٥: ٥، ٣: ٥٤، ٦: ٧، ٨، ٩، ١٠ ٢١، ٢٢، ٢٤، ٣٣، ٣٤، ٤٣، ٤٤، ٤٧، ومتى٦: ١١، ٥، ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ومتى ٧: ١٢، ١٣، ٧، ١، ٣، ١٥.

(٣٥) **البقرة** ١٥٥، ١٨٦، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٤، ٢٠٤، ٢٦٧، ٢٠٦، **آل عمران١٤**، ١١٩، ١٣٣، ١٨٥، **الجاثية٢١، الشعراء٨٩**، ق٣٣، **النساء ١١٤**، ١٤٩، **البلد ١٧–١٨، الشورى ٣٧، الحجرات ١٠، المائدة ٢٧، النور ٢٢**، ٣٠–٣١، **الفرقان ٦٣، الفجر ١٩–٢٠، الزمر ٢٩.**

فالقرآن – إذاً – جاء بمنظومة الأخلاق العالمية الإنسانية من ناحية، والإيمانية من ناحية أخرى، وقوام هذه المنظومة الإنسانية الإيمانية: **التوازن والعدل** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ (النساء: ٥٨).

والعدالة والمساواة في القرآن تكون في رد العدوان لا في قبوله والتسامح معه سلبياً، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦).

وإذا كانت الكتب الإلهية السابقة **تنهى** عن فعل الشر، ولكنها **لا تأمر بمقاومته؛** فقد جعل القرآن **الدعوة إلى الخير ومقاومة الشر واجباً شرعياً عبر قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وبإعمال هذه القاعدة جعل أمة الإسلام خير أمة أخرجت **للناس** جميعاً، وليس لقوم معينين أو شعب بعينه. قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

المطلب الثالث

خصوصية علاقته بالفطرة الإنسانية

القرآن بما هو كتاب موجه إلى الفطرة الإنسانية، للناس كافة، وهو ما يجعله مناط الضمان في أنه التصور الوحيد الموافق للفطرة(٣٦). والفطرة الإنسانية كما خلقها الله لها خصائص واحدة لدى البشر جميعاً كما بين الله تعالى في قوله: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ

(٣٦) قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ص٥٣.

﴿ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠)، ولذا فلا ينجح في التعامل معها إلا منهج يصدر عن خالقها وحده، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠). والقرآن بالتالي هو الضمانة لعالمية الرسالة الموجهة إلى هذا الإنسان، إلى قيام الساعة، يقول الدريني[٣٧]: "كون الإسلام خاتم الرسالات يستلزم هذا التطابق بين الفطرة وهذا الدين، تفسيراً منطقياً معقولاً لانقطاع الوحي"[٣٨].

وهذا يعني أن وجود التواؤم بين الفطرة الإنسانية وبين القرآن الكريم في مضمون رسالة الإسلام، وتحقُّقه بما للفطرة من ثبات، وما للدين من ثبات وحفظ أيضاً، بما يجعل هذا التواؤم والاتفاق والتطابق ضمانة من ضمانات عالمية الرسالة، من حيث عمومها للناس كافة، وخاتميتها بانقطاع الوحي، وحفظ القرآن مخاطباً للبشرية، وحالّاً لمشاكلها، وبما يضمن خلودها إلى قيام الساعة، إذ لو حصلت مفارقة بين القرآن والفطرة لأدى إلى عدم صلاحية الرسالة للعالمية. ويفصل الدريني هذا التطابق فيما مختصره[٣٩]:

أولاً: القرآن **كامل** فيما يحمله من منهج، ومضمون في خطابه للفطرة، فهو **على قدّها**[٤٠]، وحريٌّ أن يتسم **بالكمال والخلود في ذاته**، وهو دين الله الذي رضيه للبشرية كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة٣).

ثانياً: إن هذا **التطابق عليه دليل تاريخي** جلي، سواء بالنسبة لكافة

---

(٣٧) هو الدكتور محمد فتحي الدريني، عالم فلسطيني درس في الأزهر الشريف، وعمل وقضى معظم حياته استاذاً في كلية الشريعة بجامعة دمشق وله مؤلفات في مقاصد الشريعة وكان مهتماً جداً بشرح مقاصد الشاطبي حتى قال بعضهم فيه إنه الشاطبي الصغير، توفي رحمه الله منذ فترة قريبة.

(٣٨) الدريني، فتحي، **دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي**، المجلد الثاني (ط١) دار قتيبة، دمشق، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م/ص٤٦٤.

(٣٩) انظر المرجع السابق ص ٤٦٥-٤٨٠.

(٤٠) القدّ: القامة والتقطيع كما عند الرازي، مختار الصحاح، ص٥٢٣، والمقصود هنا أي هو مفصل على قدر قامتها وتقاطيعها المناسبة لها.

الشرائع التي كانت معاصرة لنزول الرسالة، والتي بادت[٤١] وأمست مجرد مادة للدراسة التاريخية، بخلاف رسالة الإسلام التي بقيت حية عبر القرون في نفوس أصحابها، وفي واقع حياتهم، بل وبذلوا في سبيلها أغلى ما يملكون من جهاد بالمال والنفس، وإن كانت أحوالهم في الأزمنة قد اعتراها ضعف لأسباب داخلية وخارجية، ولكن **ذاتية الرسالة لم تتغير ولم تتبدل**، وهي قادرة في كل لحظة على إنقاذ الأمة المسلمة من وهدتها، لتعود لها عالمية وظيفتها، وعالمية شخصيتها بعالمية رسالتها.

المطلب الرابع
خصوصية صلاحية مبادئه وأصوله التشريعية

ويمكن تفصيل هذه الخصوصية في النقاط الآتية:

١ - وحدة الأصول العامة للقرآن ووحدة مصالح البشر:

إن الأصول العامة التي يحملها القرآن، بما تحمل من فروع، وفيما يتعلق بالمصالح الإنسانية التي لا خلاف عليها بين البشر، والتي تعد من مطالبها الفطرية وحاجاتها الدائمة هو السر في صلاحية محتوى القرآن في معالجة النفس الإنسانية، وواقع الحياة الإسلامية، وفي أداء الدور العالمي للأمة المسلمة، بما يضمن عالمية الرسالة، وعالمية الوظيفة للأمة التي تحمل هذه الرسالة.

ثم إن **ارتباط الأصول** العامة والثابتة في هذا القرآن في حقائقها ومضامينها **بالحاسة الفطرية للإنسان**، هو الضامن لثباتها، وصونها من التحريف والتزييف الذي وقع للرسالات السابقة ولكتبها، مما يؤكد أن حفظ الله للقرآن، وحفظ ما فيه من محتويات ومضامين، ومقاصد وأصول، لهو خير ضمانة ذاتية لعالمية رسالته.

ثم إن **خلود أصول المشكلات** التي يعالجها القرآن **يستدعي خلود النص** أو

---

(٤١) أي لم يعد معمولاً بها، وطواها النسيان.

خلود القرآن؛ لأنه "خطاب عالمي إنساني شامل، نزل ليرسم الطريق الصحيح للبشرية، ويعالج مشكلاتها، ويضع الحلول لها في كل زمان ومكان"(٤٢).

٢ - وحدة قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن وجود قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الثابتة بمجموع وسائلها؛ **باللسان**؛ فكراً وبياناً، ودعوة أمراً أو نهياً، **وباليد**؛ بالقوة بإقامة نظام الحسبة، وتطبيقات الشريعة داخل كيان الأمة المسلمة، وبقوة الجهاد في سبيل الله دفاعاً عن الحق وعن رسالته، وبقوة التربية تحصيناً للنفس عن استمراء الباطل، وبالثبات على الحق، كل هذا يشكل ضمانة عالمية لرسالة هذا القرآن؛ وذلك لأن هذه القاعدة في النهاية هي التي **تحصّن المنهج نفسه في ذاته بالدفاع عنه وعن ثباته وربانيته من عدوان الأعراف الدولية الباطلة، الداخلية والخارجية، ومن التقاليد الموروثة المستحكمة في النفوس، إذ لا تقر هذه القاعدة الضامنة عرفاً يُتعارض القرآن، ولا تقليداً لا تقبله الشريعة، ولا خُلقاً لا تقره الفطرة السليمة.** أما إذا كان العرف الطارئ لا يتعارض مع نص القرآن ومطابقته للفطرة وانسجامه مع المعروف بين المؤمنين، فإنه يقبل، ولهذا يعد العرف "عنصراً هاماً من عناصر التطوير في الاجتهاد التشريعي في الفروع، استجابة لمصالح الناس وفق اعتباره مصدراً تشريعياً تبعياً، وما ذلك إلا لأن غاية الشريعة من هذا القرآن هو "تأسيس نظام الحياة الإنسانية على المعروفات، وتطهيره من المنكرات"(٤٣)، وطالما أن الفطرة الإنسانية لا تتغير، فالتشريعات الإلهية الثابتة الصالحة تُعدّ ضمانة عالمية لهذه الرسالة التي جاء بها القرآن.

---

(٤٢) الغزالي، محمد، **كيف نتعامل مع القرآن**، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١١هـ=١٩٩١م، ص٩٢.

(٤٣) المودودي، أبو الأعلى، **نظرية الإسلام وهديه**، رسالة القانون الإسلامي وطرق تنفيذه في باكستان، ترجمة محمد عاصم الحداد، (د-ت) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٨٩هـ= ١٩٦٩م، ص١٥٤

كما أنه لا بد من الانتباه لحقيقة واضحة وهي أن هذه الشريعة لا تكتفي بأن تعدد ألوان المعروف، وألوان المنكرات، وتعرضها على الناس لتؤدي دورها الإنساني، وتحقق نزعتها الإنسانية، بل لا بد لها من رسم نظام للحياة في الأمة بأسرها، ليطبق كل معروف في هذه المنظومة من المعروفات في كل شعبة من شعب الحياة الإنسانية، وليحارب المنكر بكل لون من ألوانه، مما يعزز بقاءها ويضمن عالمية رسالتها(٤٤).

ولا بد أن نفهم **هذا التطور التشريعي في النظرة إلى العرف** أيضاً هو ضمانة للعالمية، وأنه من فهم للشريعة التي قررها القرآن للبشر وأنه قد جعلها على نوعين من التشريعات(٤٥):

أولها: تشريعات **مُفصّلة** تفصيلاً كاملاً في الأمور الثابتة التي لا تتغير، ولا تتأثر بما يستجد في حياة الناس، مثل شعائر التعبد، والحدود، وعلاقات الجنسين، وأحكام الأسرة، وأحكام الولاء والبراء، والعلاقات مع غير المسلمين.

وثانيها: تشريعات **مجملة** تتناول الأصول العامة للتشريع، دون الدخول في التفصيلات، لأمور يعلمها **الله تعالى**، وهي تتغير وتتأثر بما يحصل من تغيير في الأزمان، والبيئات، والمدخلات، والمتغيرات في الأعراف المتجددة غير المصادمة للشرع، وأشياء كثيرة أخرى، منها: لم تكن عند نزول القرآن، فهذه التشريعات العامة وضع لها من المبادئ العامة التي تستوعب في داخلها كل المتغيرات، بما يجعلها متوافقة مع هذه المبادئ. فمثلاً **الشورى مبدأ من الأصول العامة**، ولكن تطبيقاتها مختلفة، ومتباينة حسب التطورات البشرية في التنظيمات الإدارية، وبهذا **تتسع الشريعة للحياة الإنسانية** بما يضمن عالمية هذه الرسالة.

٣ – غنى المصادر التشريعية وخلودها وخلود مشكلات الإنسان:

إن غنى هذه المصادر التشريعية أصلية وتبعية، ووفرة مبادئها **وأصولها**،

(٤٤) انظر المرجع السابق ص ١٥٥، ١٥٨بتصرف.

(٤٥) انظر قطب، محمد، **ركائز الإيمان**، (ط١)، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيلية، الرياض، ١٤١٧هـ=١٩٩٧، ص٣٤٤-٣٤٦ بتصرف.

وشمولها، وجديتها في الحياة، **وواقعية تطبيقاتها**، يجعل لها الضمانة الكبرى في عالمية رسالتها، وخصوصاً بعد أن أوقف الله تعالى نسخ الشرائع بعد ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، وثبَّت شريعة واحدة إلى قيام الساعة[٤٦].

وثمة ملاحظة أخرى لا بد من تجليتها وهي أن القرآن قد قدم **شريعة خالدة** لتناسب **فطرة الإنسان الثابتة، وبالتالي خلّد قضاياه ومشكلاته** من خلال تخليد الشريعة التي تعالج قضايا الحياة الإنسانية، وتُحل مشكلاتها. وكما ضمن جعل الشريعة للإنسان ضمانة عالمية الرسالة له، من زاوية الامتداد إلى الأمام من أجل خلود الرسالة، فقد أزاح النص القرآني عن نفسه تثبيت الحكم الشرعي في الحالة الزمنية المستدعية لنزول المعالجة لتلك الحالة، **بالقاعدة الأصولية في فهم النص تفسيراً، وفي فقه النص تنزيلاً على الواقع**، تلك القاعدة العامة القائلة: **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب**[٤٧]**. وهذا طبعاً في الآيات التي لها سبب نزول، وهي ليست الأكثر في آيات القرآن. ولكن ما قيمة سبب النزول وما حكمته حينئذ؟ إن قيمته تكمن في أنه مفتاح لكنز من المعلومات، الذي ينساب مع هذا السبب، "وهذا الكنز من المعلومات الذي انفتح لنا بسبب سؤال فلان أو حال فلان، أو تَطَلُّب الوضع لحلٍّ، هو الذي جاء بهذه الخيرات لها. ولذلك لا ينظر لسبب النزول إلا كأنه نوع من السبب الأدنى لهذه المعاني التي جاءت كلها، ذلك أن البشرية لن تخلو على امتداد الزمن من نفس الحالات البشرية التي رأيناها خلال ربع قرن**[٤٨] من التنزيل. وهذا يعني **أنه لا تعارض بين سبب النزول وبين خلود القرآن وعالمية رسالته**؛ فسبب **النزول ما هو إلا تطبيق حيوي واقعي**، على حالة إنسانية واقعية من خلال تمثيلها في فرد واحد منها زمن نزول القرآن، مما يعني **عالمية القضايا** التي نزلت الآية لتعالجها؛ **لامتداد حاجة الإنسان** إلى مثل هذه المعالجة، **وامتداد خلود نص القرآن**. وفي هذا الموضوع ما فيه من فهم دقيق **لضمانة نص القرآن فهماً وتطبيقاً لعالمية هذه الرسالة.**

---

(٤٦) انظر المرجع السابق ٣٥٢ –٣٥٣.

(٤٧) انظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن**، ١/ ١١٠.

(٤٨) الغزالي، محمد، **كيف نتعامل مع القرآن**، (ط١)، ص٩٤-٩٥.

٤ – ثبات النفس الإنسانية وخلود الحل:

إن في **حقيقة النفس الإنسانية** التي تتعامل معها مبادئ الشريعة وأصولها وفروعها ما يساعد على قبول عالمية خطاب القرآن الكريم ذلك: " أن في النفس الإنسانية وفي الحياة الإنسانية **أصولاً ثابتة** على الرغم من جميع الأوضاع والأشكال المتغيرة(...)، إنما ينال التجدد والنمو والتغيير والتعقد والتركيب أشكال الحياة لا أصول الفطرة الإنسانية، ولا سنن الحياة البشرية. ومن ثم فإن التصور الإسلامي الثابت المقومات يقابل الفطرة الإنسانية الثابتة المقومات، والحياة الإنسانية الثابتة السنن"[(٤٩)].

ومن هنا نجد **قصص القرآن** ترسخ هذا المعنى لمفهوم عالمية الرسالة، ذلك أن ما في هذه القصص من العبرة والعظة إنما هي دروس للإنسان إلى قيام الساعة. **فالقرآن بما فيه من القصص للأمم السابقة فيه ضمانة من ضمانات العالمية**، لأن في القصص تواصلاً حضارياً للشعوب والأمم، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ (فاطر: ٢٤). فقصصه في التاريخ الحضاري ملك للشعوب القائمة، وإنعاش لذاكرتها التاريخية لصراع بين الحق والباطل لأسلافها من الأقوام والبشر مع الأنبياء والرسل وأتباعهم، وهو شهود حضاري في التواصل مع أحفاد هذه الشعوب والأقوام والأمم والبشر إلى قيام الساعة في دعوتها إلى الحق.

وعلى هذا فالقرآن"عالمي ورسالته خاتمة، وله علاقة في الزمان الماضي والحاضر والمستقبل، ولهُ بعد في المكان بحيث يشمل الأرض كلها، ولا بد من معرفة حال المخاطبين، ومعرفة التاريخ الذي يشكل مرآة حياتهم. فنظرة المسلم لا بد أن تكون إلى العالم كله، يستقرئ تاريخه، ويقرأ حاضره ليتمكن من أداء مهمّته في الشهود الحضاري الذي يمكن أن نسميه الشهادة على الناس، والقيادة لهم"[(٥٠)].

وكما يقول الغزالي: "القصص في القرآن أوسع أبواب الكتاب الكريم؛ لأن

---

(٤٩) قطب، سيد، **مقومات التصور الاسلامي**، ص٣٠.
(٥٠) الغزالي، **كيف نتعامل مع القرآن**، ص٢٧٣.

هذا القصص هو **ماضي الإنسانية**، ولو فقدت أنا ذاكرتي أكون نصف مجنون، وسينتهي الأمر بي إلى الجنون. والإسلام اعتبر **أن التاريخ الماضي هو عقل الإنسانية**، فاستصحبه بكل ما فيه، والقرآن الكريم ذكر الحضارات الماضية، وذكر الأمم الأولى، وذكر أسباب الازدهار، وأسباب الانهيار"[(٥١)] وفي الإشارة إلى ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١). وقال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (الحشر: ٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلى: ١٨-١٩).

المطلب الخامس
خصوصية نزعته الإنسانية[(٥٢)]

١ - إن من خصوصيات القرآن الكريم: أنه **إنساني النزعة في مضمونه** لما تتطلبه البشرية في معتقداتها وبمبادئها وتشريعاتها وأخلاقها. لذلك زخر القرآن الكريم بندائه **الإنساني**، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: ٢٨)، وهذا ضمانة للعالمية فهو لم يتعامل مع شعب معين، أو قوم معينين، في زمان معين، أو مكان مخصوص، حتى الجيل الأول من الإنسان الذين خاطبهم من العرب، وخاطبهم بلغتهم وبلسان عربي مبين، فلم يجعل هذا الخطاب خاصاً بهم، وإن خاطبهم بلغتهم، وإنما **حمّلهم المسؤولية العالمية؛ لنزول القرآن الكريم بلغتهم**، ليقوموا بوظيفة الشهادة مع رسولهم في

---

(٥١) المرجع السابق ص ٢٧٤.

(٥٢) انظر المرجع السابق ص ٣٦١-٣٧٦.

إقامة الحجة على الناس، بل لم يجعل لهم ذكراً عالمياً إلا بالقرآن، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠). فعروبة القرآن بلغته وبرسالته، وعروبة القوم برساليتهم، وليس مجرد تكريم خاص بهم، ولا قصراً للرسالة عليهم، وإن كان قد شرفهم أن الله أنزل القرآن بلغتهم، وجعل خاتم رسله منهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

٢ – **ومقوم الإنسانية** في الكتاب الكريم ضمانة عالمية تمثل قطباً ثانياً في حقيقة الرسالة وحيويتها بعد قطبها الأول وهو **الربانية**؛ لأن توحيد الألوهية والعبودية لازم توحيد الربوبية، المشعر بوظيفة الإنسانية، فالرسالة منطلق الإيمان برب واحد، وإله معبود واحد، من إنسان عابد، وبالتالي فإن عالمية الرسالة لا تقوم على تناقض أو صراع بين الربانية والإنسانية، فليس الإنسان المخلوق نداً لله الخالق، بل هو مكلف بالعبادة والاستخلاف في الأرض، وهذا التكريم ممنوح له من خالقه الذي خلقه وأهله(٥٣). قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)، وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (ص: ٢٦)، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، فالإنسان **هنا رباني؛ ذلك أنه "لا يستطيع أن يكون ربانياً حقاً دون أن يكون إنساناً، كما لا يستطيع أن يكون إنسانياً حقاً دون أن يكون ربانياً**(٥٤).

٣ – ولذلك فإن الله تعالى الذي أكرم هذا الإنسان بجوهرة وجوده وبما

(٥٣) انظر يوسف القرضاوي، **الخصائص العامة للإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت.ط) ص٨٥–٦٠.
(٥٤) المرجع السابق ص ٦٠.

يميزه عن غيره من المخلوقات وهو **العقل**، قد جعل منهجه - وهو القرآن - **دليلاً عقلياً على صحة الرسالة وعالميتها**، إذ جعل من القرآن **منهجاً** يخاطب العقل الإنساني عامة، وجعله معجزة عقلية خاتمة خالدة دليلاً على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، أي جعله دليلاً عالمياً-عاماً خاتماً خالداً-. وهو باعتباره خطاباً للعقل يُعد ضمانة عالمية للرسالة، كما هو في الوقت ذاته باعتباره معجزةً ودليلاً عقلياً، يعد ضمانة عالمية للرسالة أيضاً. كما جعل لهذا العقل اعتباره فهو **الذي يثبت إمكان الوحي، وثبوت النبوة** والرسالة، أي وقوعها بالفعل لنبي الرسالة العالمية، وهو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم. و**العقل الإنساني بعد ذلك لا بد أن يسلم للرسول** بما يخبر به؛ لأنه صدقه بنبوته، وإلا كان العقل متناقضاً مع نفسه.

والعقل - أيضاً - هو الذي يميز بين البرهان الحقيقي على النبوة، وهي المعجزة، وبين غيرها من الغرائب، **كما أنه هو الذي يعرف دلالة المعجزة** على صدق النبي. **وهو من الناحية التطبيقية الذي يأخذ الأصول من القرآن، ويجتهد بالتفريع** عليها **وهو يقف إلى جانب الشرع** في الخروج من دائرة الخلاف بالقياس والتأصيل والفهم والتطبيق.

المطلب السادس
خصوصية وحدة الخطاب القرآني وتجرده(٥٥)

إن القرآن كلمة الله النهائية للبشر، ولم يكن لمجتمع الجزيرة العربية وحدها، ولا لزمن الرسول صلى الله عليه وسلم وحده، ولا لأي بيئة بشرية أو محدودة فهو "للعالمين". وهو لفظ يشمل الزمان والمكان على أقصى اتساع، وبلا حدود، وقد وضع التشريعات الثابتة في الأمور الثابتة في أعماق الفطرة التي لا تتغير، وترك للعقل أن يجتهد في الشريعات التفصيلية التي تتغير بتغير الظروف والبيئات وفق أصول المبادىء الثابتة؛ مما يحقق ثبات التأصيل،

(٥٥) انظر بتصرف المرجع السابق ص٦٢-٦٦.

ومرونة التفريع[٥٦]. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١).

إن منطق القرآن **ذاتي وواحد** في مخاطبته للإنسان، وجاء" ليفرض تصوره في شؤون حياتهم كلها، وهذا الوضع مستمر ودائم، ليس موقوفاً بزمان، ولا مرهوناً بمكان، ولا مقيداً ببيئة، ولا محدداً بفترة من فترات التاريخ"[٥٧]. وهذا في حد ذاته ضمان للعالمية؛ أنه لا تغيير ولا تبديل، ولا تراجع ولا تقلب في هذا التصور، فلو كانت هذه العقيدة من صياغة بشر، فرد أو جماعة أو طبقة، أو أصحاب مصلحة فهي في النهاية لا تصلح للعالمية؛ لأنها مستمدة من "جهل الناس وتصور الناس، وشهوات الناس"[٥٨]، مهما زعم الناس العلم والقوة والتجرد، لكنهم لا يمكنهم الخروج عن طبيعتهم، فعلمهم ناشيء بعد جهل، ولا يزعمون العلم المطلق، ولا الكمال المطلق، ولا التجرد المطلق، ولا النزاهة المطلقة، وبالتالي فلا تدوم معرفتهم، ولا علومهم، ولا تصلح في كل زمان ومكان، ونهايتها كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣)، ويقول: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون: ٧١)، "وهكذا يمكن القول باطمئنان: "إن التصور الإسلامي هو التصور الوحيد الذي بقي قائماً على أساس التوحيد الكامل الخالص، وإن التوحيد خاصية من خصائص هذا التصور وتفرده وتميزه من بين سائر المعتقدات السائدة في الأرض كلها على

---

(٥٦) انظر التفاصيل عند، قطب، محمد، **التطور والثبات في حياة البشرية**، الطبعة الخامسة١٣٨٨هـ= ١٩٦٨م، وانظر قطب، **سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، فصل الثبات ص٨٥-١٠٩، والقرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، دار الشروق بيروت، ص ٢١٥ -٢٥٨.

(٥٧) قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي**، (ط١) ص١٦.

(٥٨) المرجع السابق.

العموم"[٥٩]، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، مما يؤكد كونه ضمانة لعالمية رسالة الإسلام بمفهومها الأصيل، ولمفهوم حقيقة الألوهية والعبودية، والممتد عبر هذه الرسالة إلى قيام الساعة.

وهذا يستدعي - في الوقت ذاته - أن يكون واضحاً لمن يحمل هذه الرسالة، ولمن يخاطب بها تأثير هذه الرسالة العالمي الإنساني الكبير في إقامة الحجة على البشرية، وفي سد حاجاتها، وسعادتها في دنياها وأخراها، إذ من ثمار معرفة هذه الحقيقة: ما يضمن للإنسانية سعادتها[٦٠]، من معرفة غاية الوجود الإنساني المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، واهتداء الفطرة إلى الله تثبيتاً للإيمان الفطري، وإخراجاً له من إيمان الفطرة المُسْتَكِن في أعماقها إلى إيمان الوعي، والعمل بمقتضى هذا الإيمان من عبادة لله سبحانه.

إن هذه الفطرة المخلوقة لله فيها فراغ لا يملؤه إلا الإيمان بالله، كما يقول ابن القيم رحمه الله:

"في القلب شعث لا يَلُمُّه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأُنس به في خلوته، وفيه حُزن لا يُذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار إليه، وفيه نيران حسرة لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه، وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام فكره وصدق الإخلاص له. ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تُسدّ تلك الفاقة منه أبداً"[٦١].

كما أن من ثمار معرفة هذه الحقيقة سلامة النفس من التمزق والصراع

---

(٥٩) قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، ص٢٢٠.

(٦٠) انظر القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، (ط٢)، ص١٤-٢٠.

(٦١) ابن قيم الجوزية، **مدارج السالكين، تهذيب مدارج السالكين**، العلي، عبد المنعم صالح، طبعة وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، دولة الإمارات، مطبعة كاظم، دبي، (د ت)، ص٥٦٦، ٥٦٧.

بين شتى المذاهب والفرق والأديان وأهواء الإنسان؛ لأن عقيدة التوحيد تمنح الإنسان يقيناً بأن لا رب يخشى من سخطه، ويرجى رضاه، ويتوكل عليه، ويناب إليه، ويؤاب إليه، ويتودد إليه، ويحتكم إليه، ويعتصم به، إلا الله وحده لا شريك له.

كما أن من ثمارها التحرر من العبودية للهوى والشهوات والأنانية والمصالح؛ لترتاح في ظل عبادة الله وحده لا شريك له في مختلف شؤون حياتها، مما يعكس وحدةً المرجع في الأخذ والتلقي، ووحدة في العطاء في التوجه والقصد، ووحدة الأداء في السلوك والقيم، ووحدة الطريق والتشريع، والشعيرة، ووحدة الذكر بالتسبيح بحمده وحده، بما ينسجم مع وحدة تسبيح الكون كله بحمده سبحانه، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ (الإسراء: ٤٤).

المبحث الثاني
مقاصد القرآن وضمانة العالمية

القرآن بما هو كتاب الله أنزله للناس كافة، له مقاصده الكبرى لحياة هذا الإنسان، كما أن له موضوعاته الكبرى التي جاء يعالجها كذلك. ونظراً لخاتمية هذا الكتاب، وخاتمية رسالة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد جعل الله تعالى في مقاصده وموضوعاته ما يكفل عالمية هذه الرسالة.

المطلب الأول
أهم مقاصد القرآن وضمانة العالمية

المقصد الأول – القرآن الكريم هو الكتاب الحقّ للناس:

القرآن الكريم كتاب الله الحق الخاتم لكتبه، نزل بالحق، وهو **يقين لا ريب فيه، حق لا باطل معه،** قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (محمد: ٢)، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى: ١٧)، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ (الزمر: ٤١). ولا يملك عاقل أن ينكر وجوده وتواتره، كما لا ينكر عاقل أن أهدافه كما يحويه مضمونه إخراج الناس من ظلمات الجاهلية والكفر إلى نور الإسلام وهداية الإيمان. وهو بهذا الصدق والأحقية واليقين والأهداف والمحتوى يحمل في ذاته ضمانة عالميته، **عموماً** في الخطاب للناس كافة، **وخاتمية** في الخطاب للناس فلا خطاب بعده، **وخلوداً** في الخطاب في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، **وشمولاً في** قضاياه ومحتوياته؛ **إيماناً**، وعبادة، وتشريعاً، وأخلاقاً، بما يلبي حاجة الإنسان من خلجة الوجدان إلى أعقد صور العلاقات الدولية مع العالم. وفيه من القواعد الحقة، والأسس الثابتة ما تسمح باستيعاب حركة العصر وما يستجد من القضايا في

حياة الإنسان، بما لا يملك إنسان على وجه الأرض أن يزعم أنه لا يجد فيه حلاً لمشكلته، ولا حكماً لمسألته.

وكل هذا ضمان لعالمية الرسالة التي جاء بها هذا القرآن على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، تحمل دعوة الحق، وتبطل زهق الباطل، قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١).

المقصد الثاني – القرآن كتاب الهداية لشاملة الدائمة للناس، وكتاب الفصل والبيان:

وصف الله تعالى هذا القرآن، بأنه الهداية الشاملة والدائمة للبشر،وفصّل آياته وبيّنها، ووضحها بما لا غموض فيها قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾ (البقرة: ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٩)، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢)، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل: ٦٤)، وجعل القرآن بيان آياته للناس لعلهم يتفكرون، ويتذكرون، ويهتدون، ويعقلون ويشكرون[٦٢]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (النور: ٤٦)، وقال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٧)، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت: ٣).

(٦٢) انظر الآيات الكريمة في البقرة١٨٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٤، ٢٦٦، وآل عمران ١٠٣، والمائدة ١٥، والنور ٦١.

المقصد الثالث – القرآن كتاب العبادة :

القرآن: قراءته عبادة، والاستماع لتلاوته عبادة، وتطبيق أحكامه عبادة، وإذا قرأنا آيات القرآن وجدنا فيها هذه المقاصد من وجوه العبادة: قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل: ٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ (النساء: ١٠٥)، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٠).

والقرآن أحكامه شاملة أمراً ونهياً في كل شؤون حياة الإنسان، فردياً وجماعياً، وتشريعاً، مالاً واقتصاداً، وأسرة، وأمة، وسياسة وحكماً، وخلقاً وسلوكاً، وعادات ولباساً ومطعماً ومشرباً إلى غير ذلك من وجوه العمل وكلها عبادة، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ﴾ (الرعد: ٣٧)، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٤٠).

المقصد الرابع – القرآن كتاب الشفاء والرحمة والبشرى:

البشرية بعيدة عن منهج ربها مريضة بفكرها وعقائدها وسلوكها وأخلاقها، فلا شفاء لها إلا بالقرآن. وهي في حالة شدة وقسوة، والقرآن رحمة الله بها في دنياها وآخرتها، لأن الإقبال عليه والعمل به رحمة وسعادة، كما أن الإعراض عنه شقاء في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٣-١٢٤). كما أن آياته منذرة للناس من سوء عاقبة الضلال، مبشرة لهم بالخير في دنياهم وآخرتهم قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا

خَسَارًا﴾ (الإسراء: ٨٢)، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٥)، وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (الأنعام: ١٥٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١)، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩).

المقصد الخامس – القرآن كتاب العلم والتزكية والحكمة:

جعل الله تعالى القرآن فيما أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تعليماً للناس علم الحكمة وهو ما ينفعهم، وتزكية لأنفسهم، وتطهيراً لواقعهم، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة: ٢)، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩)، ووصف الله تعالى القرآن بأنه الحكيم فقال تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (يس: ١-٢)، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ (لقمان: ٢).

فالقرآن هو الذي دفع العرب ليخرجوا من أميتهم ليتعلموا الكتاب ويقرؤوه ويكتبوه ويحفظوه. ويعلق على هذه الآيات السيد محمد رشيد رضا[٦٣] فيقول: "فآياته المتلوة هي سور القرآن، المرشدة إلى سننه في الأكوان، والتزكية هي التربية بالعمل وحسن الأسوة، والكتاب هو الكتابة التي تخرج العرب من أميتهم، والحكمة هي العلوم النافعة الباعثة على الأعمال الصالحة"[٦٤].

---

(٦٣) داعية سلفي سوري الأصل، عاش بمصر في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وكان ملازماً لشيخه الشيخ محمد عبده وهو صاحب تفسير المنار الذي يدور حول تفسير الشيخ محمد عبده للقرآن

(٦٤) رضا، السيد محمد رشيد، **الوحي المحمدي**، مكتبة القاهرة، مصر، ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م، (ط٦) ص١٢٤.

المقصد السادس – القرآن كتاب الذكرى والتذكير والعبرة والعظة:

فهو يدعو إلى ذكر الله، ويذكر الناس بما ينفعهم؛ وإن مادة **الذكر** في القرآن جاءت في آياته بمختلف صيغها ودلالتها في مائتين وستة وستين موضعاً(٦٥).

وأما ما يدل على أن هذا القرآن ذكر ففي قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف: ١٠٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩).

وهو **ذكرى**، كما قال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٩٠).

وفي قصصه **العظة والعبرة** بما يضمن للأجيال التي نزل عليها، وللأجيال القادمة من البشر أن يتعظوا بما فيه من سنن الله في إدارة شؤون صراع أهل الحق مع أهل الباطل، فإن السنن جارية ومحكمة، وإن اختلفت شخوصها وأوقاتها، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (يوسف: ١١١)، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣١)، وقال سبحانه: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٨)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس: ٥٧).

والأمة التي تؤمن بهذا الكتاب أو الذكر يضمن الله تعالى لها ذكراً ووجوداً دائماً قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠).

---

(٦٥) انظر عبد الباقي، محمد فؤاد، **المعجم المفهرس**، ص٢٧٠-٢٧٥.

ولهذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستمساك بهذا القرآن لأنه الصراط المستقيم، وجعله ذكراً يحفظ الأمة المسلمة إن هي استمسكت به ودعت إليه، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الزخرف: ٤٣).

المقصد السابع – القرآن يقصد إحقاق الحق وإبطال الباطل في سنة التدافع:

نعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان ليكون في الأرض مستخلفاً، وبعبادة الله عز وجل قائماً، يقود مركبة الحق والخير، وجعل الشيطان عدواً للحق، ولهذا الإنسان، وزعيماً للبشر، وجعل **الصراع بين الحق والباطل سُنّة** من سننه، بصدد تمحيص هذا الإنسان، قال تعالى في وصف ما أقسم الشيطان على فعله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٦–١٧)، وحذر الإنسان من كيده بقوله: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧). وجعل الله عز وجل في البشر أنبياء ورسلاً على مر تاريخ البشرية ليجددوا مبادئ الخير في صراعه مع الشر، وفي سنة التدافع المستمرة والدائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها كما قال سبحانه: ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ (الأعراف: ٢٤–٢٥).

ولقد دعّم الحق فطرة الخير لدى الإنسان بالنبوات كلما استجاب لإضلال الشياطين، كما قال عليه الصلاة والسلام فيما يروى عن ربه في الحديث

القدسي: يقول الله تعالى: "خلقت خلقي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين"[(٦٦)]. **وأحيا سبحانه سنة التدافع، وعدّها ثابتاً من ثوابت الحياة البشرية** قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥١). وقد أخذ الشيطان على نفسه عهداً أن يضل الإنسان، الا من رحم ربي ممن وصفهم الله تعالى بعباده المخلصين في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات: ١٦٠) فأمرالشيطان أتباعه باتباع الهوى، وأرضاهم بحكم الطاغوت، ومنّاهم ووعدهم وغررّ بهم، وأضلهم عن ذكر الله وما أنزل من الحق على أنبيائه ورسله، فأفسدوا أديانهم، وحرفوا كتبهم، وعبدوا هواهم و: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة: ٣١)، فعمتهم الجاهلية؛ جاهلية الفكر والاعتقاد، وجاهلية التنظيم والتشريع والأوضاع، وجاهلية الأخلاق والقيم والسلوك حتى لم يبق على وجه الأرض بين يدي بعثة محمد صلى الله عليه وسلم على الحق إلا بقايا قليلة من أهل الكتاب، كما قرر عليه الصلاة و السلام ذلك في قوله: "إن الله نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم فمقتهم إلا بقايا من أهل الكتاب"[(٦٧)]، فبعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم خاتماً للأنبياء وأنزل عليه القرآن، وجعل الصراع مع الباطل والجاهلية عالمياً **عالمية خلود الجاهلية، وبالتالي كان هذا القرآن خالداً خلود سنة التدافع بين الحق والباطل**، وبين الخير والشر، وبين الهدى والضلال، ليحسم الله المعركة لصالح الإسلام والخير والحق والهدى كما وعد بناء على

(٦٦) مسلم، **صحيح مسلم**، (ط١) طبعة دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م، ٥١ – كتاب الجنة – باب رقم ٢٨٦٥، جزء ٤ ص١٧٤١.

(٦٧) مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم**، المرجع السابق، وانظر، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ=١٩٥٥م(ط١)، ٤/ ٢١٩٧

هدي هذا القرآن، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (الصف: ٨). وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (الأنفال: ٧).

المطلب الثاني
موضوعات القرآن وضمانة العالميّة

يحتوي القرآن الكريم في آياته الدين الإلهي الكامل التام الذي رضي الله به للبشرية كافة، وهو دين الإسلام، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم العالمية. وهو بمحتوياته وموضوعاته يمثل هذا الوضع الإلهي الذي يسوق البشر إلى الإيمان بالله وتوحيده وعبادته، فيما يلبي حاجة البشرية من سعادتها في دنياها وآخرتها. ومقومات هذه المحتويات تحمل في ذاتها عالمية هذه الرسالة، وتجملها كبرى الموضوعات التي جاء بها القرآن فيما يأتي:

الموضوع الأول – الإيمان بتوحيد الله وتنزيهه:

جاء القرآن بما يحسم الخلاف في توحيد الله وتنزيهه؛ فقد غلب التشبيه على اليهود في كتبهم كما قال الشهرستاني: "إن التشبيه فيهم طباع"[(٦٨)]، فأساءوا إلى تنزيه الله تعالى، حتى زعموا أن يعقوب صارع الرب فصرع يعقوب الرب. والنصارى جددوا من عهد قسطنطين الوثنية، وغير بولس – وهو شاؤل – وكان من أحقد طبقات الفريسيين اليهود الحاقدة على النصرانية، وكان هو شخصياً عدواً لدوداً للنصارى؛ يعذّبهم، ويعمل لرجمهم، وجلدهم، وقتلهم، تحَّول في يوم وليلة، وزعم أن نوراً أضاء له في طريق دمشق، وفقد بصره، وأنه كلّمه المسيح أن يذهب إلى يوحنا حتى يعيد له بصره، ومن لحظتها أصبح مسيحياً، صاغ عقائد وثنية في بنوة المسيح لله! – حاشا لله– وألف له لوقا

(٦٨) الشهرستاني، ابو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر، **الملل والنحل**، تحقيق محمد سيد كيلاني (د.ط) طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م، ١/١٩٦، ١٠٦، ٢١٢، ص١٩٦، ٢١٢. وانظر رضا، **الوحي المحمدي**، ص١٢٦– فما بعدها.

أعمال الرسل في منتصف القرن الأول الميلادي، وفيها عقائد جديدة وثنية لا علاقة لها بالمسيح عليه السلام؛ فبولس لم ير المسيح، ولم يعاصره، ولم يشاهد المسيح واحد ممن كتبوا تلك الرسائل، ولا تلك الأناجيل، التي من أقدمها ما كتب بعد مائتي سنة من حياة المسيح عليه السلام.

وقد انتهى محمد ملكاوي في نتائج بحثه عن بولس إلى أن هذا الرجل كان يهودياً فريسياً دخل على النصرانية منذ فترة التأسيس، بعد غياب المسيح عليه السلام؛ ليضع ديناً جديداً وثنياً لا علاقة له بالنصرانية الحقيقية، فأودع فيها العقائد الوثنية، مثل الثالوث: الآب والابن والروح القدس، ثلاثة أقانيم كل أقنوم فيها إله، وأن عيسى ابن الرب، وأنه رب. وقال بالتعميد، ونظرية وراثة الخطيئة البشرية الموروثة، من آدم عليه السلام، وأنه لا يغفر الله للإنسان خطيئته الموروثة وخطاياه المكتسبة إلا أن يؤمن بالمسيح الرب المُخلّص، وبأنه ابن الله؛ ليتحمل عنه خطاياه، وينال من دمه ما يمسح ذنوبه(٦٩).

وهناك أديان وثنية ليست دينية أو إلهية، ساءت معرفتها لله وقدمت ألواناً من الشرك وأدخلته في اليهودية والمسيحية المحرفتين. كما وصف ذلك ربنا سبحانه بقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة: ٣٠). فجاء القرآن ليهدم أركان الوثنية الدينية الموهومة، وأوهام غيرها من الديانات الوثنية، وأقام البرهان في آياته على وجود الله ووحدانيته، وقدم معرفة صحيحة عن الله وتنزيهه من خلال معرفته سبحانه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وآثارها في الحياة. ودحض شبهات المنكرين والملحدين، وبيّن سائر أركان الإيمان، من إيمان بقدر الله، والإيمان بالملائكة من حيث حقيقتهم وضرورة الإيمان بهم،

---

(٦٩) انظر التفصيل، ملكاوي، محمد أحمد عبد القادر، **اليهودي شاؤل بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية**، دار الإسراء الرياض، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، (ط١) وهو دراسة مستفيضة وموثوقة

وبيان صفاتهم ووظائفهم في الكون والوحي، وفي السماء والأرض، وفي إجراء قدر الله، وفي الدنيا وفي الآخرة بما يزيد العباد معرفة الله، وتقدير عظيم صنعه. ومن الإيمان بكتب الله وأنبيائه ورسله، وقدم معرفة قرآنية صحيحة عن تلك الكتب وأولئك الأنبياء والرسل، وقصصهم مع أقوامهم؛ ليعتبر الناس ويتعظوا كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف: ١١١).

ولنأخذ أبرز مضمون للقرآن في الاعتقاد وهو الذي يمثل أساس الإيمان فيه وهو[٧٠]:

مفهوم الألوهية والعبودية:

يقدم القرآن الكريم تصوراً واحداً صحيحاً ثابتاً شاملاً لمفهوم الألوهية، إنه الرب وحده بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، رب كل شيء ومليكه، إليه يستند كل شيء في وجوده وفي نظامه وحركته قال عليه الصلاة والسلام: " كان الله ولم يكن شيء غيره"[٧١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①

---

(٧٠) انظر بتوسع هذا الموضوع عند سيد قطب، **مقومات التصور الإسلامي**، ص٨١-١٨٦

(٧١) متفق عليه من حديث عائشة، **البخاري، صحيح البخاري، بشرح فتح الباري**، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٠هـ، **كتاب التفسير، الجزء ١٣** كتاب التوحيد، ص٤٠٣، وقد تعقب الألباني طرق ألفاظ الحديث **(قبله، وغيره، ومعه)** فقال: "رواية معه لم أجدها في البخاري، وقد أخرج الحديث في موضعين من صحيحه" بدء الخلق، والتوحيد"بالروايتين الأخيرتين – يقصد وقبله، وغيره، **وبالأخرى بينهما**، أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٧٠) ورواه أحمد (٤/٤٣١) بالرواية الأولى منهما، لكن بلفظ: "كان الله تبارك وتعالى قبل كل شيء" وكلام الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث يشعر بأن هذه الرواية "معه" لم يقف عليها، فقد قال (٦/٢٠٦): تنبيه: وقع في بعض الكتب في هذا الحديث: "**كان الله ولا شيء معه**، وهو الآن على ما عليه كان" وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبه على ذلك العلامة تقي الدين بن تيمية، وهو مسلّم في قوله: "وهو الآن... إلى آخره"، وأما لفظ "**ولا شيء معه**": فرواية الباب بلفظ:

ﵟٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢﵞ (الاخلاص: ١-٤).

ويعرض القرآن الكريم حقيقة الألوهية بمنتهى دقة المعرفة والتعليم للبشر بما يضمن وضوح هذه الحقيقة وثباتها دون تغيير أو تبديل، أو السماح باعتداء على أي شيء من حقائقها، طبقاً لحفظه القرآن الكريم الذي: ﵟلَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖﵞ (فصلت: ٤٢). ومختصر المعرفة الصحيحة لهذه الألوهية: أنه[(٧٢)] هو وحده لا شريك له هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، والخالق والرازق والمدبر، والخافض والرافع، والمعز والمذل، والمنتقم الجبار، والعفو والودود، والعلي الكبير، وشديد الحساب وسريع الحساب، والقريب والمجيب، والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وهو معهم أينما كانوا، وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، وينزل الغيث من بعد ما قنطوا، وينشر رحمته، ويولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ويحيي الأرض بعد موتها، إنه لا ملجأ منه إلا إليه، وأنه الرؤوف والرحمن، والرحيم، وأنه مالك الملك، وأنه خالق كل شيء ومليكه،وأنه يخلق ما يشاء ويختار، وأنه السلام، والمؤمن، والمهيمن، والعزيز، والجبار، والمتكبر، والقوي، وأنه الحكيم، الخبير، والقاهر والقهار، وأنه بديع السموات والأرض، وأنه لا تدركه الأبصار، وهو

= "**ولا شيء غيره**" بمعناها. قلت - أي الشيخ الألباني -: فلو كان عند الحافظ علم بهذه الرواية لذكرها، واستغنى بذلك عن الاحتجاج عليها بمعنى الرواية التي ذكرها كما هو ظاهر، والله أعلم. انظر"ابن أبي العز الحنفي، **شرح العقيدة الطحاوية للإمام الحاوي**، (ط٦)، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ١٤٠٠هـ، ص١٣٩، وهامش (١) تخريج الألباني.

وانظر البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوي الخسروجردى، (٣٤٨-٤٥٨هـ) **كتاب الأسماء والصفات**، (ط١) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ=١٩٨٤م، ص٢٤ -٢٥، ٣٠٠.

(٧٢) انظر، قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي**، ص١٩١-٢٨٣ بتصرف.

يدرك الأبصار، وأنه اللطيف والخبير، وأن كل شيء عنده بمقدار، وأنه عالم الغيب والشهادة، وأنه الكبير المتعال، وأنه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، وأنه الحي والمحيي والمميت، وأنه ليس كمثله شيء وأنه هو السميع البصير، وأنه الوكيل والشهيد والحق، وأنه ذو الجلال والإكرام، وأنه رب العالمين.

وبهذا فإنه يجب أن يتوجه إليه العبد في كل شيء؛ من أمره، فمنه وحده نأخذ هديه في عبادته، وإليه يوجه كلَّ شيء قصده من عبادته، وبما شرع يعبده من له إرادة مختارة في الإيمان به والعمل بطاعته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص: ٨٨)، إنها حقيقة التوحيد قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأعراف: ٥٤).

بمثل هذا **المقوم** تقوم الحقيقة الكبرى في **الرسالة العالمية، وهو مقوم ثابت لا يتغير بتغير الزمان ولا المكان ولا البيئة،ولا المستوى العلمي،ولا الاختلاف الحضاري، مما يشكل ضمانة ثابتة لعالمية الرسالة؛ فإن منطلقها معرفة الله، وإن معرفتها له واحدة ثابتة يسهل معرفتها وتصور العلاقة معها، ذلك لأن القرآن كلام الله، والإنسان خلق الله، والثوابت في الألوهية تقابلها الثوابت في النفس الإنسانية، والفطرة الإنسانية**، مما يساعد على الاستقامة على النهج في ما يقابل الألوهية من مقوم العبودية، وهي الحركة من البشر نحو الله، معرفةً بالإيمان، وعبادةً بالطاعات والبعد عن المعاصي في كل أمور الحياة، وفقاً لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

وقد ضمنت الرسالة الإسلامية عالميتها بهذا القرآن الذي دعا إلى وضوح هذه الحقيقة التي يقوم عليها الدين منذ خلق الله آدم، وعبر رسالات الأنبياء والرسل السابقين إلى أن نزل هذا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم،

ليختم بيان هذه الحقيقة، حقيقة الألوهية الواحدة، والعبادة الواحدة لله وحده، ولتكون خطاباً لكل البشر إلى قيام الساعة، كما كانت خطاباً للبشر قبل الرسالات السابقة، وتجددت وختمت بخطاب القرآن نهائياً إلى قيام الساعة ومفادها في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ (الزمر: ١١).

وأقام القرآن انفصالاً واضحاً بين الرب في تصور الإنسان وإيمانه ومعرفته له، وبين الإنسان العابد لله وحده لا شريك له في مختلف شؤون حياته، مما أقفل الباب تماماً على الخلط بين الألوهية والإنسانية، فلا يمكن للإله أن يحمل صفات البشر، كما لا يمكن أبداً ان يحمل الإنسان شيئاً من صفات الرب سبحانه. ولذلك كانت الألوهية الواحدة مجردة لأي ادعاء باطل من أي إنسان، فرداً، أو طبقة، أو حزباً أو عالماً أن يدعي أنه يُعبد، أو أن له شيئاً من مظاهر الألوهية، إنْ خلقاً وتصرفاً في شيء من الكون، وإنْ تألها أو زعمَ تقديس، وإنْ عبادة، وطاعة وتقرباً؛ أمراً أو نهياً. وعلى هذا فإن بيان **حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية المتمثلة ببيان وظيفة الإنسانية العابدة، ما يقيم ضمانة كافية لهذه العالمية للرسالة** وأحكامها وأنظمتهاوعبادة واحدة؛ في موازينها، وقيمها، وسلوكها، وعبادة واحدة في غرضها، وآمالها، وأهدافها، وقاعدة الجزاء في الدنياوفي الآخرة(٧٣).

الموضوع الثاني – عقيدة البعث والجزاء:

عقيدة البعث والجزاء أو الإيمان باليوم الآخر، عقيدة كان ينكرها المشركون، ويسيء معرفتها أصحاب الأديان السماوية بما وقع في كتبهم من تحريف، وما وقع من أحبارهم ورهبانهم من تزوير، حتى فقدوا معنى الإيمان

(٧٣) **المرجع السابق**، ص١١٧، بتصرف يسير.

بالآخرة، وأفسدوا تصورهم لها، فقد تلاشت عقيدة الآخرة عند اليهود بسبب جشعهم وطغيانهم المادي وعدوانهم على البشرية، وتاهت عقيدة النصارى فيها، لأن بولس أفسد عليهم نصرانيتهم – كما ذكرنا قبل قليل – بوثنية لا يوجد فيها تصور صحيح للآخرة، واتجهوا إلى رموز غير مفهومة، وإلى البحث عن سعادة غير حقيقية، بنظرية الإسقاط للدنيا من أجل الآخرة غير المعروفة لديهم.

أما القرآن الكريم: فقد قدم وصفاً صحيحاً واقعياً للآخرة، ووازن بين عمل الدنيا وجزاء الآخرة، وبين إحسان التوازن بينهما في هذه الحياة الدنيا فقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧).

وجعل القرآن للدنيا طعماً ومذاقاً في ظل مذاق الآخرة، كما جعل للحياة الدنيا معنى مفهوماً بالسعادة فيها، انتظاراً لسعادة الآخرة؛ قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: ١١٥).

ووصف لنا الآخرة ومنازلها من الموت إلى البرزخ، إلى قيام الساعة، إلى البعث والنشور، والمحشر والحساب والميزان، ودخول الجنة أو دخول النار. كما وصف لنا درجات الجنة، ودركات النار. ووصف لنا في كلٍ منهما ما ينتظر أهلها، بحيث يعيش الإنسان دنياه موقناً بإقباله على ربه للجزاء، عاملاً بالصالحات متجنباً السيئات من أجل الفوز بالجنة، والنجاة من النار ولهذه العقيدة الثابتة عن الآخرة واليقين بها ما يحقق آمال الفطرة البشرية التي تتجه إلى الاطمئنان إلى تحقيق ما تبتغيه من سعادة لا تكتمل في الدنيا، ومن عدل مطلق لا تجده في الدنيا، ومن يقين بنتائج ما تقدمه وتكافح من أجله، بحثاً عن فطرة تشعر بضرورة الملك الأبدي والخلود الأبدي المزروع في أعماقها كما في قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ

﴿ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ (طه: ١٢٠). وقوله: ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠)، فحب الخلود يقتضي خلود مفهوم الآخرة، والقرآن بتخليده لعقيدة البعث والجزاء يضمن عالمية هذه الرسالة.

الموضوع الثالث – العمل الصالح:

وهو الثمرة اللازمة للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله عز وجل. وقد قدم القرآن منهاجاً واضحاً تفصيلياً للعمل الصالح في آياته وسوره، مما يصلح البشرية، ويضع لها القواعد العامة، والأمثلة التفصيلية على كل قاعدة، بما يضمن تطبيق هذا الدين بمنهجه وأحكامه وشريعته على البشرية كافة إلى قيام الساعة، طبقاً لضمان عالمية رسالته.

ويتجلى ركن العمل الذي قصد إليه القرآن بأنه احتوى شريعة شاملة ونظاماً متكاملاً لحياة البشرية في مختلف شؤونها؛ فرداً وجماعة، أسرة ومجتمعاً، أمة ودولة، سلماً وحرباً، سياسة وحكماً، اقتصاداً ومالاً، كسباً وإنفاقاً، بما عبر عنه فقهاء الإسلام وعلماء الأصول **بالفقه**، والذي جُعل **علم أصول الفقه** أساساً له؛ لاستنباط الأحكام الشرعية العملية في مختلف شؤون الحياة من الأدلة الشرعية، فكانت تلك الأحكام الشرعية العملية أو الفرعية فقه هذا القرآن، وبما اعتمد من مصادر التشريع؛ سنة واجتهاداً شريعة الأمة المسلمة ونظامها العملي في حياتها. وهي شريعة تقوم على أصول ثابتة تسمح بمعالجة مستجدات الحياة وتستوعب تطورات العصر[٧٤]، لتجعلها تحت جناح هذه الشريعة، بما جعل الله لها من أصالة وثبات في أصول الأحكام ومراتبها؛ من حل وحرمة، ومن مقاصد الشريعة، وما عرف من ضرورات وحاجيات

---

(٧٤) انظر خصائص التشريع الإسلامي وأسسه العامة وبحاجة قبوله للتطور حسب بيئات الزمان والمكان في: موسى، محمد يوسف، **الإسلام وحاجة الإنسانية إليه**، مكتبة الفلاح، الكويت١٤٠٠هـ=١٩٨٠م، (ط٤)، ص١٨٩، ٢٠٣-٢٠٦.

وتحسينيات ومكملات مصالح، وبما اعتمد من مصادر التشريع التبعية لها من اجتهاد وقياس واستحسان ومصالح مرسلة وعُرف وغيرها. ولقد أنضج علماء الأمة هذا الجانب في موضوعات القرآن، وأصول فهمه بمكتبة أصلية نامية، ومتطورة بما لا يحصى من المراجع والدراسات، والمذاهب الفقهية، وأعلام الاجتهاد؛ وذلك محقق لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣). **فتمام الشريعة من تمام القرآن، وكمالها من كماله**(٧٥) **وديمومتها وصلاحيتها من خاتميته وخلوده**. ومن ثم كان هذا القرآن في أحد موضوعاته، وهي **الشريعة**، وفي **جوهره وذاته وصلاحية شريعته ضمانة ذاتية لعالمية رسالته**. ويفصل محمد يوسف موسى خصائص هذا التشريع الإسلامي بما يضمن هذه العالمية، بما مجمله(٧٦):

أ – أن هذا التشريع في أساسه يقوم على وحي إلهي ثابت محفوظ وهو القرآن، وأحكامه تقوم على استقرار، ولها في نفوس الناس من الفطرة ما يجعلها مقبولة لديهم، إذ هي أحكام الله خالق الفطرة، وهو الأعلم بما يحقق مصلحة الإنسان كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

ب – وهي مقنعة للمخاطب بها.

ت – كما هي ذات هدف أخروي مع كونها نافعة للإنسان في حياته الدنيا.

ث – وأن واضعها – وهو الله سبحانه – إنما شرعها لمصالح العباد في العاجل والآجل، وأن هذا ثابت بالاستقراء في جميع الأحكام إلى قيام الساعة.

ج – "وإذا كانت الرسالة الإسلامية ليس بعدها رسالة إلهية، وإذا كان رسولها هو خاتم النبيين، واذا كان من النتائج المنطقية لذلك: أنه أرسل إلى الناس كافة (...) وجب أن يكون ما فيها من تشريعات قد قامت على أسس

(٧٥) انظر، فصل كمال الشريعة، **المرجع السابق**، ص١٨٤–١٨٨
(٧٦) انظر المرجع السابق، ص ١٨٩–٢٢٤

تجعلها صالحة للناس عامة في كل مكان وزمان، والأمر كذلك حقاً؛ فإن هذه الشريعة بما قامت عليه من أسس قوية ومرنة معاً صالحة حقاً لكل بلد وناس وعصر وآن "[٧٧].

وموضع هذا كله إنما هو القرآن كتاب هذه الرسالة، فقد احتوى في موضوعاته هذه الشريعة وأسسها، من مثل تحقيق العدل الشامل والرحمة، ورعاية مصالح الناس جميعاً، واليسر في الشريعة برفع الحرج لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج: ٧٨)، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: ١٨٥). وذلك منسحب في كل التشريعات من عبادات ومعاملات، وعقوبات وسياسات.

وبالتالي فإن هذا القرآن بما حواه من شريعة عالمية أصَّلها وثبَّتها وبيَّنها ووضحها، وجعل لها من القواعد والتطبيقات ما يضمن صلاحيتها لكل زمان ومكان وبما يسمح بعالميتها، فكان القرآن بشريعته يحمل في جوهر موضوعاته ومبادئه ومقاصد شريعته وأهدافها ضمانة ذاتية لعالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع
القيم والأخلاق

منظومة القيم التي قدمها القرآن على أنها قيم إنسانية، تجد لها أساساً في فطرة الإنسان المخاطب بها إلى قيام الساعة، بما يسمى بالبصيرة أو **الحاسة الفطرية** أو الحاسة الأخلاقية أو الضمير[٧٨]. ويجعل القرآن بناء هذه الأخلاق على مصادر **الإلزام الربانية**، فهي تنبثق من الإيمان بالله في حقيقتها، ومن العبادة لله وحده في مظهرها. وهي أخلاق يتحمل المرء **مسؤوليتها** دنيوياً، كما يتحمل مسؤوليتها أخروياً. ويهدف المرء منها سعادة الدارين، فترضى نفسه

(٧٧) المرجع السابق، ص ٢١٣

(٧٨) انظر الجليند، محمد السيد، **في علم الأخلاق، قضايا ونصوص**، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٣٦٦هـ=١٩٧٩م، (د.ط) ص١.

وفطرته، وتتحقق منافعه الدنيوية، ولكنها في غايتها الكبرى يقصد منها مرضاة الله سبحانه، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

وهذه المنظومة الأخلاقية التي يقدمها القرآن أوصت بها جميع الأديان الإلهية، والطبائع البشرية العاقلة، والفطر السليمة، ولكنها في القرآن إيمان ودين، سلوك وعبادة، إنسانية في توجهها للعالم، إيمانية في تبني المسلم لها، دنيوية في تطبيقاتها،أخروية منجية في غاياتها الكبرى والنهائية. كما أنها شاملة ومتوازنة وإيجابية وثابتة، لا تتغير بتغير الزمن والأحداث، والأشخاص والهيئات، مع الصديق ومع العدو، مع المسلم وغير المسلم(٧٩)، من مثل العدل والأمان، والصدق والوفاء بالعهد والوعد، والرحمة، وغيرها وما يتولد فيها من سلوك فردي، واجتماعي وجماعي، يميز المسلم فرداً، والمجتمع جماعة، والأمة عالمياً. وكل ذلك فيه ضمانة العالمية للرسالة التي تحمل هذه الأخلاق القرآنية.

وأبسط مثال على ضمانة القرآن للعالمية في أخلاقه في ضرورة إقامة العدل بين الناس، كل الناس،بغض النظر عن أي اعتبار شخصي أو ديني أو اجتماعي أو عرقي أو زماني أو مكاني، هو في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ (النساء: ٥٨)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨).

وإذا كانت الشعارات تدعو إلى التسامح ولو مع الظالم، ويقول قائلها استغفروا لأعدائكم، فالقرآن يطلب من المؤمنين أن يعدلوا مع كل إنسان ولو كان عدواً. ولقد فهم علماء الإسلام من قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠)، أن هذه الآية أَجمعُ آية لمعاني

(٧٩) انظر، بحث راجح الكردي، المجال الأخلاقي والسلوك الاجتماعي في كتاب، **محاضرات في الثقافة الاسلامية**، كلية الشريعة الجامعة الأردنية، المؤلفون، ١٤٢٣هـ=٢٠٠٠م عمان، ص١٤٩.

الإسلام، وفيما روى أنه عندما شاعت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب، وتناقلها الركبان أرسل أكثم بن صيفي أولاده ليسألوا محمداً صلى الله عليه وسلم عما يدعو إليه، فتلا عليهم هذه الآية، فرجعوا إلى أبيهم، ولما سمع ما تلوْا عليه قال الحكيم العربي: "إن هذا إن لم يكن ديناً فهو في أخلاق الناس أمر حسن، كونوا يا بنَيَّ في هذا الأمر أولاً. ولا تكونوا آخراً"(٨٠).

والعدل ليس قيمة فردية فحسب – شأنها شأن سائر قيم القرآن – بل قيمة جماعية، وليس قيمة إيمانية فحسب، بل قيمة إنسانية، كما أنه خلق عالمي حتى في أقسى ظروف العلاقات بين الناس وهي الحروب.

ومن هنا تأتي **الأخلاق والقيم الإنسانية في جوهر الكتاب شريعة دولية، وضمانة ذاتية لعالمية الرسالة**؛ ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠)، ويقول: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ١٩٤)، ويقول: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ (النحل: ١٢٦)، ويقول: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ (التوبة: ٦). فكل عباد الله سواء أمام هذه القيم من حيث منشؤهم ومآلهم، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات: ١٣). ولا مصلحة لله في تغليب فرد على فرد؛ لأن الله تعالى منزه عن المصلحة(٨١).

---

(٨٠) انظر بتصرف، أبو زهرة، محمد، **المعجزة الكبرى في القرآن**، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت.ط) ص٣٨٦–٣٨٧.

(٨١) انظر قطب، محمد، **الإنسان بين المادية والإسلام**، (ط٣)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠، ص١٠٤، والمؤلف نفسه، **جاهلية القرن العشرين**، (ط١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م ص٢٩٤، ٢٩٧.

ثم إن القرآن يكفل من الوسائل التربوية لهذه الأخلاق، ما يضمن فاعلية تبنيها من النفس الإنسانية منذ الصغر؛ لتكبر مع الإنسان، ولتصبح سلوكه الذي يصدر عنه دون تكلف ودون صراع شديد مع النفس الأمارة بالسوء، بما يضمن تحقيق الأهداف العليا للبشرية.

وهذه الأخلاق **ربانية في مصدرها**؛ لأنها من القرآن، **وربانية في تطبيقاتها؛ لأنها عبادة لله عز وجل، وإيمانية أخروية في أهدافها الكبرى؛ لأنها يقصد بها مرضاة الله سبحانه بدخول الجنة والنجاة من النار. وهي إنسانية في إطارها البعيد، وإيمانية في إطارها القريب، وهي بهذا كله ضمانة لعالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي تحملها وتدعو إليها، وتطبقها بمنتهى الدقة والحيوية.**

الخاتمة

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصل إليها الباحث بما يأتي:

١ - يحمل القرآن في ذاته وجوهره ضمانة العالمية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

٢ - القرآن - بما هو رباني المصدر - يحمل ضمانة العالمية.

٣ - القرآن خاتم الكتب الإلهية ومصدق لها ومهيمن عليها، وهذا يؤهله لضمان العالمية.

٤ - التواؤم بين القرآن في منهجه وفطرة الإنسان في نزعته الإنسانية - وكلاهما رباني المصدر - مؤهل لعالمية الرسالة،وضامن لها.

٥ - القرآن يحمل وحدة الخطاب، وفيه من المبادئ والأصول التشريعية ما يجعله ضماناً لعالمية الرسالة.

٦ - مقاصد القرآن في كونها تحمل الحق والهداية والعبادة والشفاء والرحمة، وتحيي سنة التدافع؛ ليحق الحق في معركة الحق مع الباطل الدائمة كلها مؤهلات لعالمية رسالته وضامنة لها.

٧ - كل موضوع من موضوعات القرآن فيه من ضمانة العالمية لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ما فيه، من مثل وضوح عقيدة التوحيد والبعث والجزاء، ومن حيث العمل الصالح وصلاحية الشريعة للدوام، ومن حيث ثبات القيم والأخلاق التي يحملها القرآن ويدعو إليها.

انتهى البحث بحمد الله

المصادر والمراجع

١- "(الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد سيد كيلاني، (د.ط)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

٢ - بوكاي، موريس، **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، (د.ط)، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

٣ - البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي النيسابوي الخسروجردي، (٣٤٨-٤٥٨هـ)، **كتاب الأسماء والصفات**، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ=١٩٨٤م

٤ - الجليند، محمد السيد، **في علم الأخلاق، قضايا ونصوص، (د، ط)**، مطبعة التقدم، القاهرة، ١٣٦٦هـ=١٩٧٩م.

٥ - ابن جني، أبو الفتح عثمان، (ت٣٩٢هـ)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ثلاثة مجلدات (ط٢)، دار الهدى بيروت، (د.ت).

٦ - حسين، محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، (ط١) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

٧ - الخولي، محمد علي، **التحريف في التوراة**، (ط١)، نشر المؤلف، عمان، ١٤٠١هـ=١٩٩٠م.

٨ - دراز، محمد عبد الله، **الدين، (ط٢)** دار القلم، الكويت، ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.

٩ - دراز، محمد عبد الله، **مدخل إلى القرآن الكريم**، (ط٢)، دار القلم، الكويت، ١٣٩٩هـ=١٩٧٨م.

١٠- الدريني، فتحي، **دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي**، المجلد الثاني، (ط١)، دار قتيبة، دمشق، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

١١- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، (ت٦٦٦هـ)، **مختار الصحاح**، (ط١)، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧م.

١٢- رضا، السيد محمد رشيد، **الوحي المحمدي**، (ط٦)، مكتبة القاهرة، مصر، ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م

١٣- الزبيدي، محمد مرتضى، **تاج العروس**، مكتبة الحياة (د، ط)، بيروت، (د.ت).

١٤- الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (د.ط)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (د.ت).

١٥- الزركشي، الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن، المجلد الأول**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ=١٩٧٢م.

١٦- أبو زهرة، محمد، **المعجزة الكبرى في القرآن**، **(د.ط)**، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت).

١٧- السيد، عبد الستار، **بحث إعجاز القرآن**، أحد بحوث المؤتمر السابع لعلماء المسلمين، ٩ سبتمبر سنة ١٩٧٢، نشر مجمع البحوث الإسلامية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (د.ط) القاهرة، ١٣٩٣هـ=١٩٧٣م.

١٨- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، **الإتقان في علوم القرآن، المجلد الأول**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (د.ط) الهيئة المصرية العالمية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٩- أبو شهبة، محمد بن محمد، **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، الطبعة الجديدة، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م.

٢٠- الشهرستاني، ابو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر، **الملل والنحل**، المجلد الأول، تحقيق محمد سيد كيلاني (د.ط)، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م.

٢١- عبد الباقي، محمد فؤاد - **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** (جمع وترتيب)، (د.ط) مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، (د.ت).

٢٢- **العلي عبد المنعم صالح، تهذيب مدارج السالكين** طبعة وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، دولة الإمارات، مطبعة كاظم، دبي، (د ت).

٢٣- الغزالي، محمد، **كيف نتعامل مع القرآن،** (ط١)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١١هـ=١٩٩١م.

٢٤- ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (ت٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة،** المجلد الثالث، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (ط٢)، طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٩٠=١٩٧٠م.

٢٥- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم الشيرازي، (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط،** المجلد الرابع، (ط٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.

٢٦- القرضاوي، يوسف، **الخصائص العامة للإسلام،** (ط٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ=١٩٨٣م.

٢٧- قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته،** (د.ط)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، (د.ت).

٢٨- قطب، سيد، **في ظلال القرآن،** المجلد السادس، (ط٧)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ=١٩٧١م.

٢٩- قطب، سيد، **مقومات التصور الإسلامي،** دار الشروق، (ط١)، بيروت، ١٤٠٠هـ=١٩٨٦م.

٣٠- قطب، محمد، **التطور والثبات في حياة البشرية،** الطبعة الخامسة، طبعة دار الشروق، بيروت ١٣٨٨هـ= ١٩٦٨م..

٣١- قطب، محمد، **ركائز الإيمان،** (د.ط)، مركز الدراسات والإعلام، دار إشبيلية، الرياض، ١٤١٧هـ=١٩٩٧.

٣٢- قطب، محمد، **الإنسان بين المادية والإسلام،** (ط٣)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م.

٣٣- قطب، محمد، **جاهلية القرن العشرين،** (ط١)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.

٣٤- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول، (د.ط)** دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ت).

٣٥- الكردي، راجح عبد الحميد، **بحث المجال الأخلاقي والسلوك الاجتماعي في كتاب محاضرات في الثقافة الإسلامية، لمجموعة من المؤلفين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، (ط١)، الناشر، المؤلفون، عمان، ١٤٢٣هـ = ٢٠٠٠م.**

٣٦- ملكاوي، محمد أحمد عبد القادر، **اليهودي شاؤل بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية،** (ط١)، دار الإسراء الرياض، ١٤١٢هـ= ١٩٩٢م.

٣٧- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، المجلد الثاني عشر والمجلد الثالث عشر، (ط٣)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٣٨- موسى، محمد يوسف، **الإسلام وحاجة الإنسانية إليه، (ط٤)**، مكتبة الفلاح، الكويت١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

٣٩- المودودي، أبو الأعلى، **نظرية الإسلام وهديه**، رسالة القانون الإسلامي وطرق تنفيذه في باكستان، ترجمة محمد عاصم الحداد، (د.ط)مؤسسة الرسالة، بيروت١٣٨٩هـ=١٩٦٩م.

٤٠- بن نبي، مالك، **الظاهرة القرآنية،** ترجمة عبد الصبور شاهين، (د.ط)، دار الفكر، بيروت (د.ت).

٤١- نوفل، السيد أبو المجد، **الدعوة إلى الله،** (ط١)، مطبعة الحضارة العربية، القاهرة، ١٣٩٧هـ=١٩٧٧م.